التصوّف

معراج الذوق وترياق التطرف

المفكر الإسلامي والاستراتيجي
د. مازن الشريف

إهداء

*إلى أهل الصوفية...وأهل الله وخاصتهم.

*إلى من رافقوني في الدفاع عن روحانية الإسلام وعن التصوف عامة والصوفية في تونس خاصة.

مقدمة

لطالما كنت أعتقد أن التصوف الإسلامي هو واحد من أكبر كنوزنا الحضارية، بأبعاده الدينية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والأدبية وحتى الفنية، وبين قصائد الإمام الرواس وابن عربي وابن الفارض وأبي مدين[1]، وجدت رحابا شاسعة وآفاقا واسعة للذوق الرفيع والأدب الماتع والفن الممتع والعشق النقي والكلم الراقي، ومثلت ينبوع قصائدي في ذلك الباب من حِكم ووعظ ومدائح نبوية وأشعار في الإلهيات كتبتها منذ سنة ألفين حواها ديواني "مدد". في حين كانت حكم ووصايا ابن عطاء الله وسري السقطي وسهل بن عبد

[1] راجع ملحق الأعلام في ختام الكتاب من 1 إلى 4

الله التستري والحارث المحاسبي وأبي القاسم القشيري وأبي حامد الغزالي والحسن البصري[2] وثلة الصوفية الأوائل ومن تبع نهجهم منبعا للرقي ومَعينا للسلوك ومُعينا في المسيرة.

أما مواعظ سيدي عبد القادر الجيلاني وأوراد سيدي أحمد الرفاعي وأحزاب سيدي أبي الحسن الشاذلي ومناجاة سيدي عبد السلام الأسمر ودرر أهل الله وهيل أولياء الله فقد كانت زادا حقيقيا وشعلة أنارت ظلمات نفسي وأعانتني على مواجهة ظُلمة العالم وظَلَمة الدنيا، عبّرت عنه في أناشيدي وقصائدي من الشعر الشعبي كديوان "هيل".

درست التصوف بعد أن عشقته، وعشقته أكثر بعد أن درسته، ومسني من الحزن ما مسّني لجاحد لفضله مكفّر

[2] ملحق الأعلام من 5 إلى 11

لأهله، فهو كعليل النفس لا يطيب له أريج ولا يروقه منظر بهيج. فأمره كقول المتنبي:

ومن يكُ ذا فمٍ مُرّ مريضٍ يجد مُـرّا به الـماء الزّلالَ

ولجاهل به وهو فيه، كأعمى بصيرة وبصر ومختل عقل ونظر بلغ نبع ماء بعد وعثا سفر فالتقم الحجارة واستفّ التراب وترك الماء فلم يشرب منه ولغة عطش ولا غُلّة ظمآن. وهذا داء في الكثير من المتطفلين على التصوف والفقه والعلم الديني، فمَثَلهم كقول الآخر:

خَلِيْلَيَّ كَمْ ثَوْبٍ وَكَمْ مِنْ عَبَـــاءَةٍ

عَلَى جَسَدٍ مَـــا فِيهِ عِلْمٌ وَلا عَقْلُ

وَكَمْ لِحْيَةٍ طَالَتْ عَلَى خَدِّ جَــاهِلٍ

فَأَزَرَى بِهَا مِنْ بَعْدَمَا طَالَتَ الْجَهْلُ

وَكَــمْ رَاكِبِ بَغْلاً لَـهُ عَـقْـلُ بَغْلَهِ

تَـأَمَلْ تَـــرَى بَغْلاً عَلَى ظَهْرِهِ بَغْلُ

أو خامل ميّت القلب لا تهزّه فاجعة ولا يحرّكه أمر ولا تلمسه غيرة ولا يرى أبعد من أوهام نفسه ولا يخرج من دائرة طريقته وشيخه وزمرته ولا يهتم لحرق مقام أو خراب زاوية أو قتل شيخ أو اندلاع حرب أو بلاء أمة، فتحمله الأوهام إلى كلام الهرطقة وسبل الزندقة يتشدّق بما لا يفقه وينطق بما لا يفهم فيجعل الخالق يحلّ في المخلوق حلول متجسّد في جسد، ويدعي بوهم الحال أنه حوى الواحد الأحد، فصارا واحدا لا اثنين، وأنه رأى الله رؤيا العين، وغيره من كلام السفسطة والخبال وشطحات الوهم والخيال. وضرر هذا وأضرابه بالتصوف كبير وأثره على الأمة خطير. فهو كقولهم:

كالثّور عقلا ومثلُ التّيس معرفةً

فلا يُفرّق بين الحقّ والفَنَدِ

الجهلُ شخصٌ يُنـادي فوق هـامته

لا تسأل الرّبعَ ما في الرّبع من أحدِ

أو مندسّ فيه مزوّر له لغاية نفس أو ثراء جيب أو حقد دفين وخبث شيطان لعين، فأمره كقول ابن شهيد الأندلسي[3]:

ورُبّت كُـتّـاب إذا قيــل زوّروا

بكت من تأنيّهم بطون الرسائلِ

ونـاقلِ فقـه لم يـــر الله قلبه

يظن بأن الدين حفظ المسـائلِ

---

[3] ابن شهيد الأندلسي: 323 - 393 هـ / 935 - 1003 م.

عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد القرطبي أبو مروان.

وزير، من أعلام الأندلس ومؤرخيها وندماء ملوكها.

ولد ومات بقرطبة. له (تاريخ) كبير يزيد على مائة جزء، بدأه بعام الجماعة (40 هـ) وختمه عام وفاته، مرتباً على السنين. وجمع ما وجد من شعره في (ديوان – ط).

على أن التصوف من هؤلاء بريء ومن أولئك براء. وأهل التصوف الحق كانوا دعاة للخير منابر للموعظة مضارب للذوق أسنة للحق في وجه الباطل جاهدوا بالكلمة الصادقة والموقف الشجاع وكانوا حماة للحمى ذابّين عن الثغور داعين لصلاح الأمور. مما يطول بذكره السياق وتحوي أخباره الكتب الكثيرة.

وقد كنت دونت ضمن موسوعتي "البرهان"[4] مبحثا معمقا عن التصوف، كان ناتج بحث وتمحيص ودراسة معمقة في ارتباط بعلوم عديدة كالأخلاق والجمال والذوق والحجة والفقه والأدب تجدها في مختلف أجزاء البرهان... ثم كتبت كتبا أخرى عن العرفان والذوق

---

[4] البرهان موسوعة في العلم والقرآن وفي مسائل من العلم نشرت الجزء الأول منها وعسى ييسر الله نشر ما تبقى.

والتصوف والولاية، ككتاب "الياقوت" وهو في علم العرفان، وكتاب "بلوغ الغاية في حقيقة الولاية"...

وكان من فيوضات الروح كتب هي من التصوف روحا ورائحة: ككتابي "وصايا المعلم"، وكتاب "إشراقات"، وكتاب "كلمات من فيض الروح".[5]

غير أن ما زاد وعيي بقيمة التصوف حدّة وجلاء ما أصاب العالم العربي والإسلامي بعد ما سمي بالربيع العربي، فقد عمد الوهابية إلى تخريب عدد كبير جدا من المقامات والزوايا الصوفية ونبشوا قبور الصالحين وفجروا في الشام والعراق وفي ليبيا وفي مالي (تمبكتو مدينة الأولياء) وأحرقوا في تونس كحرقهم لمقام السيدة المنوبية ومقام سيدي أبي سعيد الباجي. وما زلت أذكر مشه

---

[5] كتب مخطوطة نشرت صفحات منها على صفحاتي على فيسبوك خاصة صفحة: (الشيخ مازن الشريف) وصفحة (المفكر مازن الشريف)

تفجير مقام الشيخ العارف بالله سيدي عبد السلام الأسمر وما رافقه من تكبير وتهليل أثناء تدمير منارة إسلامية وقصف مقام رجل من آل بيت النبي ومن أقطاب أولياء الله الصالحين وسادة أهل الذوق والشوق، وهو الاسم الذي أطلقته على العارفين والصالحين في كتابي البرهان.

لم يكن موقفي مجرد وقوف على الربوة، بل مضيت للمساجد وقدمت محاضرات كثيرة في شتى أرجاء تونس[6]، ثم كان نشاطي عبر الندوات حيث كان المقصد توعية الإعلاميين والرأي العام بخطورة حرق الزوايا وأذكر أني قلت لهم أن ذلك سيليه القتل والخراب، ولم أك في ذلك مخطئا، بل أثبته حدثان الأيام. ولست أنسى يوم ظهرت – وأنا أشغل حينها منصب

---

[6] تجد معظمها مسجلا على قناتي على يوتيوب.

مدير إذاعة الكاف – في نشرة أنباء القناة الوطنية وأنا في مقام سيدي أبي سعيد الباجي غداة حرقه، كموقف مبدئي لا رياء فيه ولا نكوص عنه. ثم كانت هنالك حلقات كثيرة في الإذاعات والقنوات التلفزية خصصتها للتصوف والدفاع عن أهل الله وأحبابه وأوليائه وهم تاج رأسي وسادتي.

لم تكن العاطفة من حركتني حينها وليست من تحركني اليوم – رغم وجودها وأثرها – إنما هو الوعي بما خلف ضرب التصوف من هجمة حضارية غير مسبوقة على أمة العروبة والإسلام، وعلى كل راق جميل فيها، ومن مقام الشيخ عبد السلام إلى متحف الموصل وآثار نمرود وصولا لمتحف باردو يوجد رابط جوهري وأساسي تكلمت فيه كثيرا في ندواتي ومحاضراتي والحصص التلفزية والاذاعية وكذلك في المقالات والحوارات المنشورة في

الصحف ومواقع التواصل، وبما أني خبير استراتيجي في الشؤون الأمنية والعسكرية ومختص في التيارات الإسلامية ومكافحة الإرهاب وفي علم الاستشراف، فقد بينت بالأدلة العلمية خطورة ضرب التصوف والهجمة على الذوق والتسامح ومحاولة فرض عقائد وهابية فاسدة وتكفيرية حاقدة، وبرهنت بالحجج التي لم تكن الأيام الموالية لها إلا تحقيقا حرفيا لها، ولم تكن فكرتي في تدوين ميثاق يجمع ما كان متواترا في بنود تبين للأجيال ما كان عليه سلفهم من عقيدة وفقه وتزكية وفق دستور ابن عاشر الذي أستهل به مدخل هذا الكتاب، لم يكن ذلك إلا من أجل تجميع الكلمة وتوحيد الصف لما استشرفته من خطورة آتية وهجمات عاتية. وقد تم تدوين الميثاق ومراجعته رفقة بعض من شاركني النهج والمنهج كما تجد في كتابي "الروض المونس

في شرح ميثاق علماء تونس"، لكن للأسف لم يتم دعمه رغم الوعود الكثيرة.

ذات يوم اتصل بي صديق صحفي وأعلمني أن جريدة العرب الدولية تطلب مني دراسة حول الطرق الصوفية بتونس ودورها المحتمل في مجابهة الفكر التكفيري والإرهاب، فدونتها تباعا في أيام قليلة، وقد ارتأيت أن أستهلها بتعريف للتصوف وحقيقته وقيمته، ثم تكلمت باختزال عن الطرق الصوفية بتونس تاريخا ومناهج وعن الحال قبل وبعد الثورة وما كان من الهجمة الوهابية ثم فتحت آفاق استراتيجية لما يمكن أن يكون وكيف يمكن أن يكون ليصبح للطرق الصوفية دور في مجابهة وباء التكفير وأدواء التفجير. ويوم فكرت في طباعة كتابي "رحلة في عقل إرهابي" رأيت من المفيد أن يكون له

قرينان، هذا الكتاب، وكتاب بصيرة عقل وفيه بعض حواراتي الصحفية ومقالاتي حول الإرهاب وقضاياه.

وقد اخترت أن أسميه (التصوف معراج الذوق وترياق التصوف) ولم أشأ ان أضيف إليه لما حواه – حسب رأيي – من معلومات مختزلة مبسطة ميسرة وافية ضافية كافية.

إن الإرهاب الذي درست بنيته التخريبية للعقل ونماذج واقعية من تحقق استراتيجياته في كتاب رحلة في عقل إرهابي ليس سوى حلقة من حلقات كثيرة يحركها لاعبون مهرة يتقنون اللعب بالبيادق وتحريك الخناجر والبنادق، ولهؤلاء حقد رهيب على الأمة وعلى كل شعاع خير إنساني، وما التصوف الإسلامي النقي إلا واحد من أهم الدروع لصد هذه الهجمة لأن أهم درع ما يكون في داخل الفرد صلاحا وزكاة نفس، وليس أدل

على وعي (العدو) بخطورة وقيمة التصوف من الخراب والحرق والتفجير لكل ما يحمل عبقه وأثره.

إن ما تم تخصيصه عن تونس من جانب الطرق يحتاج مزيدا من الاثراء من المهتمين بهذا المجال، ولكن الجانب الاستراتيجي يمكن تعميمه. وإني أرجو من أهل العلم بالتصوف أن لا يبخلوا على الناس بعلمهم فما أحوج الناس عامة والمتصوفة خاصة للدليل الشرعي والحجة الفقهية والعلم الذوقي والإصلاح المنهجي والترقي المعرفي والرقي العرفاني. كما أدعو الدولة إلى اعتماد مناهج تعليمية وإعلامية للتوعية بالقيم الصوفية والسلوكية من حب ورفق ورحمة مع ما يجب من أطر الفقه والعقيدة، فذلك أمر عظيم النفع كثير الخير جمّ الفوائد.

أسأل الله ختاما أن ينفع بما دونا ويُفيد بما كتبنا، وأن يتقبل منا الحب بجاه من أحب.

سوسة

23:49:49 2015-04-28

مدخل

يقول عبد الواحد بن عاشر في متنه الشهير:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريـقة الجنيد السـالك

ولعلّه أشهر بيت في المتن كلّه، ردّده أهل المغرب العربي خاصة لأنه يعبّر عنهم.

عقـد الأشـعري هـو عقيـدة غالبيـة أهـل الإسـلام، مـع الماتريديـة الـتي لا تختلـف عـن الأشـعرية إلا في مسـائل جزئيـة عـدّها بعـض العلمـاء إثنتـا عشـر مسـألة، لكـن الاخـتلاف لـيس في الجـوهر مـن تنزيـه الله عـن صـفات الحـوادث وعـن الأيـن والكيـف والجسمية. أما فقـه مالـك فهو الذي أتى مع علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك، ومع الإمام أسد بن فرات صاحب السراجين، لأنـه درس علـى مالـك ثم علـى أبي حنيفـة وكـان أهـل

إفريقية يقولون له إذا أشكلت مسألة: أوقد السراج الثاني، أي أفت بالمذهب الحنفي. وقد أسس مدرسة الأسدية التي بقي أثرها في الاستئناس بمذهب السادة الأحناف ووجودهم كمدرسة فقهية ثانية في إفريقية. وعلى يد الإمام سحنون جامع المدونة أخذا عن عبد الرحمن العتقي المصري تلميذ الإمام مالك، وكان سحنون تتلمذ على يد أسد ابن الفرات أيضا. ثم على أيدي سادة أوائل من أمثال أبي العرب التميمي والبهلول بن راشد وابن التين وغيرهم كثير.

وأما طريقة الجنيد ويُعنى بها الجنيد البغدادي، فهو منهج السلوك والتزكية الذي انتشر في القرن الثاني حتى اندمج منذ القرن الرابع مع مدرسة القيروان ومدرسة الزيتونة وعبر من خلالهما إلى أصقاع المغرب العربي والأندلس، فكان أكثر علماء الزيتونة أهل فقه وفتوى، وأهل

تصوف وسلوك. وقد اعتنى هؤلاء بالتصوف عناية كبيرة حتى ظهر له أقطاب وأشياخ كبار كان لهم عميق الأثر في نشر الإسلام وحماية المجتمع ونصح الحاكم ومحاربة الغزاة. ومن المرابطين في قصر الطوب – في مدينة سوسة قبالة البحر قرب زاوية سيدي عبد الحميد– زمن الدولة الأغلبية وعلى رأسهم محمد بن سحنون، إلى أبي سعيد الباجي ومحرز بن خلف وأحمد بن عروس وأبي علي النفطي وصولا لإبراهيم الرياحي والشيخ سالم بوحاجب والرعيل الذي تتلمذ على أيديهم ثم الشيخ محمد المدني أحد أهم مجددي التصوف في القرن الماضي مما سيرد تفصيله، كان التصوف في بلاد إفريقية فاعلا في المجتمع ومنارة للإصلاح والذكر، ولم يكن فقط زاوية للتعبّد ومقاما للتبرّك، بل كان مدرسة للعلم وقلعة للجهاد والذود عن حرمات المسلمين وحماية الأرض

والعرض. لقد عمل التصوف ضمن مجالين أساسيين: مجال تأسيس وتربية. ومجال صد ومقاومة.

لقد كانت الزوايا منارات علم، ولكن خرج منها أيضا مقاتلون أشاوس ذادوا عن اوطانهم ضد الغادي، منهم الشيخ سليمان الفيتوري (جد الشيخ عبد السلام الأسمر) الذي جاهد الصليبين حتى استشهد، والشيخ بوعمامة أكثر من جاهد المستعمر الفرنسي وكان من شيخ الطريقة الشيخية، أو الشيخ المجاهد عمر المختار الذي كان سنوسي الطريقة أخذا عن شيخه أحمد الشريف، وهو معلوم لا يحتاج تعريفا، وقد شهدت أرض ليبيا والجبل الأخضر خاصة جهاده العظيم ضد الطليان الفاشيين. وكذلك الشيخ بن عيسى (الزاوية الرحمانية بمدينة الكاف التونسية) الذي شجّع على مقاومة الفرنسيين.

ضـمن هـذا الإطـار يـرد السـؤال: أي دور للتصـوف والصوفية اليوم، والأمة كلها تواجه خطر الإرهاب وما يحمل من عقائد فاسدة ونهج تكفيري متعصب ونمط دموي مدمّر؟

وحين نخصص القول لتونس: فأي دور يرتجي من الطرق الصوفية في التصدي للفكر التفكيري والإرهاب؟

وأي أثر للتصوف في تونس اليوم؟

ومـاذا على أهـل التصـوف بتـونس – وكـذا في المغـرب العربي والعالم الاسلامي ككل – أن يفعلوا حتى يكونوا درعا لأوطانهم ويسهموا في إنقاذ شعوبهم والانسانية من حمم بركان الحقد والكراهية والتطرف والارهاب؟

تعريف التصوف وقيمته

يقسّم أهل العرفان الدين إلى ثلاث أسس:

أولها **العقيدة**: وهي ما على المؤمن أن يعتقد من وجود ربّه ووحدانيته وخلقه للخلق بلا معين وحُكمه للملكوت بلا شريك وكونه بلا نظير ولا شبيه ولا والد ولا ولد، مع ما يلزم ذلك من إقرار الصفات ونفي شبهة التجسيم عن خالق الكائنات، وكذا نفي الحد والأين والكيف وكل ما يكون من شأن المحدثات. ثم الاعتقاد في الرسل والكتب والملائكة والجنة والنار والقيامة والغيب. واليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلّم وأنه خاتم النبيين وسيد المرسلين. فهذا بإجمال مختزل العقيدة.

وأما الأساس الثاني فهو **الشريعة**، وما شرع الله في الشرائع من أوامر ونواهي. ما فرض وما أوجب وما حلل وما أباح وما حرّم. نظام كلي شمولي مفصّل. ومنه يعتمد بين القرآن وما كان في السنّة من أحكام وإحكام. ثم يكون القياس والاجتهاد. ومن هنا كان الفقه بأصوله وفروعه، وكانت ضمنه العبادات والمعاملات تبيانا وتفصيلا، وكان فيه جوهر مقصد الشارع فيما شرع خيرا للإنسانية ونفعا للإنسان وتقنينا وتنظيما.

في حين اعتبروا **الذوق** أساسا ثالثا، ومنهم من سمّاه علم التزكية أو السلوك، وآخرون قالوا الإحسان، ذلك الجوهر العظيم والمقام الكريم الذي سأل عنه جبريل عليه السلام سيّدنا محمدا صلى الله عليه وسلّم في خبر دخوله عليه في تمثّل الأعرابي ليس عليه وعثاء السفر وما كان من

أسئلة ضمنها قوله للنبي "ما الإحسان" فأجابه: أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

ولكلّ أساس براهين في القرآن والسنّة يضيق المجال ببسطها، ولكن المختزل أن الدين حين يكون عقيدة دون شريعة لا يصلح به شأن الناس، وحين يكون شريعة دون عقيدة لا يسمو بالناس، وحين يكون عقيدة وشريعة فقط دون ذوق وتزكية سرعان من يعتري العقيدة فساد فهم وسوء نظر وبلاء تجسيم وفتنة تشبيه وآفات وصفه سبحانه بما لا يليق بمقام ربوبيّته وشأن ألوهيّته وحقيقة وحدانيته. وسرعان ما يعتري الشريعة قسوة وجلافة فيتحوّل حكم الردع إلى حكم قمع، ويكون السعي خلف الحدود والأحكام لا ضمن القيود والإحكام. فلكل حكم حكمة ولكل حدّ قيد، وما كانت الشرائع إلا رحمة، ولكن فساد الذوق يجعلها

نقمة تبيح المدنس بحجج المقدّس، وكلا الأمرين اعتريا الأمة منذ فتنة الخوارج والمجسمة إلى اليوم، فكان فساد العقيدة والتجسيم، وكان القتل والتنكيل بحجة تحكيم الشرع وتحقيق الشريعة وصون العقيدة، ولناظر أن ينظر في أمر الحروريين في القرن الأول للهجرة والأزارقة (أتباع نافع بن الأزرق الخارجي) وما فعلوا، أو ما فعل عبد الوهاب النجدي وأتباعه من قتل وتنكيل وتدمير للآثار النبوية في القرن الثاني عشر للهجرة، وما يجري اليوم من جرائم تنظيم الدولة الإرهابي يندرج تحت نفس الأطر عقيدة ومنهجا.

ليس هذا الدين الذي اختاره الله للناس إلا دين رحمة وبركة وتهذيب أنفس وزكاة قلب وروح، ولا النبي الذي بعثه رحمة للعالمين في الأمة التي ابتعثها أمة وسطا وخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

وتسعى في الخير إلا نبي هدى ونور بالرفق والخلق العظيم والموعظة الحسنة. ولأجل ذلك فإن المرحلة المكية كلها كانت تزكية وسلوكا وصقلا وتهذيبا وتلقينا للحق بروح الحق، صبرا على البلاء وإقبالا على الدعاء وامتثالا لأمر ربّ السماء. فأوّل السير تزكية النفس ومن شوائبها وتطير القلب من أدرانه حتى يكون الاعتقاد دون دخَن الوهم ولُبس الفساد، وحتى يكون فهم الشريعة دون لوثة القساوة وانعدام الضمير وغياب الإنسانية، وحتى يكون كل ذلك في كنف الرحمة التي هي مقصد المقاصد، وفي ظلّ الرفق الذي هو عُمدة الأمر برمّته، وكما قال النبي الحبيب: إنما أنا رحمة مهداة. وقوله: من يُحرم الرفق يحرم الخير كله.

فإن كانت العقيدة تُدرك بالقلب، والشريعة تُفهم بالعقل، فإن الذوق يُبلغ بالروح ترقيّا لمراتب الإحسان

وصقلا لجوهر الإنسان وتزكية للنفس من أمر السوء ووسواس الشيطان.

حين كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه كان يحثّهم على الترقي الذوقي عبر تزكيتهم وترقيتهم في مراتب الحب والرحمة والخير والإحسان، من ذلك ما رواه البخاري من خبر الفاروق عمر: حدثنا يحي بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني حيوة قال حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه و سلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و سلم (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و

سلم (الآن يا عمر). والمعنى أن إيمانه لن يكتمل ولم يكتمل حتى أحب النبي أكثر من نفسه ومن كل شيء، وفي هذا تزكية عظيمة وتربية قويمة وترقّ في مقامات الحب لأن جوهر الإسلام حب، فمن دعا إليه بالكراهية والقتل وتكفير الناس فقد خالف الله ورسوله وافترى عليهما وخالف نهج الصحابة وتابعيه والصالحين ومن كان في نهجهم النوراني الرباني المحمدي. والآيات كثيرة في باب الحب والتزكية كقوله سبحانه وتعالى:"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ" البقرة (165).

وحين يصلح باطن الإنسان يكون ربّانيا خالصا ويكون رفقا خالصا ورحمة خالصة فتلك سِمةُ المخلِصين وذلك سَمْتُ المخلَصين الذين ينسبهم الله إلى مقام رحمته ويصفهم في كتابه الكريم: "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ

عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا" الفرقان (63) .

ولما انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى برهن نخبة أصحابه على تلك الروح الذوقية العالية والأخلاق الربانية المحمدية الرفيعة التي أهلته لقول ربّه له:"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم(4)

فرأى العالم آيات التواضع ومجالي الرحمة ونقاء السريرة وجمال الروح.[7]

---

[7] مثل خبر الصديق مع عجائز المدينة وقول الفتاة: حالب الشياه يا أمّاه. أو خبر الفاروق مع الأعرابي في أقاصي المدينة ليلة قرّ وصرّ وامرأته تضع مولودا وكيف كان من عجيب صنيعه. أو من حياء عثمان الذي تستحي منه الملائكة وكرمه من النبي وسخائه مثل شأنه في العسرة وقول النبي عنه: ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم. أو خبر قافلته عام الرمادة وكيف منحها لمن يجازيه بعشرة أمثالها أمام حيرة التجار الذي ساوموه فيها أضعافا حتى بلغوا خمسة أضعاف ثم قالوا في حيرة اليائس من يدفع عشرة أضعاف ونحن تجار المدينة قال الله ثم تصدّق بها. وكذلك في أخبار غير واحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. ثم كان

في كل هذه المرحلة لم يكن الكلام إلا عن الإحسان وعن القيم والشيم والأخلاق. لكن مع الحسن البصري تلميذ الإمام علي، تبلورت مدرسة أخلاقية تنبع من معين القرآن والسنة ومن مدرسة النبي وصحابته، وكانت تطورات الحياة وما كان من الفتنة وآثارها ثم انتشار الترف وانفتاح كنوز الأرض أمام الفاتحين وتمازج الأمم وتوافد الثقافات الجديدة بغثّها وسمينها دافعا لمزيد تبلور تلك المدرسة للنصح وإصلاح أحوال الناس وطباعهم ومعاملاتهم ومعالجة أدواء أنفسهم وأهواء قلوبهم، وللاعتكاف وعبادة الله والتقرب إليه أيضا. فكان ذلك ظهورا لمصطلح التصوف أخذا من الصفاء كما قال البعض، ومن الصوف وما يرمز إليه لباسه من تقشّف

ترجمان ذلك كلّه الإمام علي كرّم الله وجهه الذي كان ربّانيا صرفا ومحمّدياً خالصا. وقصصه كثيرة وأخباره عديدة. ويمكن الرجوع لوصاياه للحسن والحسين شعرا ونثرا ولحكمه ومواعظه وخطبه وأشعاره.

كما قال البعض الآخر، ومن أهل الصفّة الذي كانوا من فقراء المسلمين ولهم مكان مخصوص في المسجد النبوي.

وقد أسهمت تطوّرات المجتمع الإسلامي وما ظهر من تبدّل أخلاقي في تطوير المدرسة الصوفية ليظهر لها بداية من القرن الثاني أعلام مصلحون وزهّاد واعظون من أمثال سري السقطي والحارث المحاسبي وسهل بن عبد الله التستري ومعروف الكرخي وأبي يزيد البسطامي وأبي سعيد الخراز وذي النون المصري والفضيل بن عياض (عابد الحرمين) وإبراهيم بن الأدهم ومنصور البطائحي. وكان اتفاق الصوفية على أن الجنيد البغدادي هو شيخ طريقتهم وإمام منهجهم، ويجد الباحث تراجمهم وجملة من أخبارهم في كتب كثيرة منها كتاب ابن الملقّن "طبقات الأولياء".

كما ظهر للتصوف رجال صالحون وأولياء عابدون بداية من القرن الثالث وكانوا أظهر منذ القرن الخامس على رأسهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عدي بن مسافر، والشيخ عقيل المنبجي العمري، وسواهم كثير. وظهر في بلاد المغرب أعلام وأقطاب للتصوف على رأسهم الشيخ عبد السلام بن مشيش وتلميذه الشيخ أبو الحسن الشاذلي، والشيخ أبو العباس السبتي... وقد كان لهم عميق الأثر في مجتمعاتهم وفي الأمة ككل، مما هو مدوّن بالشواهد، وعلى حقيقة التصوف ورجاله شاهد.

وقد أصبح التصوف علما كاملا شاملا مختصا بمقام الإحسان وعلم الذوق والأخلاق، ومن أهم أعلامه إضافة لمن سبق ذكرهم نذكر أبا حامد الغزالي وكتابه

الأشـهر "إحيـاء علـوم الـدين"، والإمـام أبـو القاسـم القشيري صاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف.

إن الكـلام عـن قيمـة التصـوف وحقيقتـه كـلام يطـول، لكن يكفي أن أجمل ذلك في خمسة أمور:

1 التصوف تزكية وإصلاح للنفس وتقويم لها وتهذيب وصقل. وهو سلوك لحسن الخلق وترقّ لمقام الإحسان.

2 التصـوف ينبـع مـن الأسـاس الثالـث للـدين وهـو الذوق، ولا صلاح لعقيدة أو شريعة ليس فيها ذوق.

3 التصـوف وقايـة وحمايـة للمجتمـع، لأنـه يبـث روح المحبة والألفة والرحمة والتعايش والتعاون.

4 التصـوف طـوّر الذائقـة الإبداعيـة، فنبـغ أعـلام في الشعر من أهل التصوف من أظهرهم وأشهرهم الغوث أبو مدين شعيب والشيخ الروّاس وأبي الهدى الصيادي وابـن الفـارض. وظهـر نوابـغ في الإبـداع شـعرا وقصصـا

على رأسهم فريد الدين العطار ومولانا جلال الدين الرومي. بل إن التصوف تفاعل مع الفن والموسيقى فظهرت مدرسة السماع خانة لمولانا جلال الدين، وظهر السماع العرفاني الذي اشتهر به أهل المغرب والأندلس ومن بين أعلامه الشيخ أبو الحسن الششتري الأندلسي (610 هـ – 668 هـ)صاحب رائعة "شويّخ من أرض مكناس...وسط الأسواق يغني....اش عليّ انا من الناس...واش على الناس منّي" التي مازالت تغنى إلى اليوم واشتهرت في الآفاق والأخبار وعبرت العصور والأمصار. وكذلك نجد لدى المولوية الرفاعية شأنا في الفن والرقص الجمالي يثبت ما للتصوف الإسلامي من قيمة جمالية وثقافية وحضارية وإبداعية.

5 التصوف لم يكن فقط حركة أخلاقية إصلاحية، ومنهج للتزكية والترقّي، بل كان فاعلا اجتماعيا مؤثّرا،

وكان له الأثر في جمع المسلمين وتوحيد كلمتهم وتقوية معنوياتهم ومنحهم روحانية أنقى نبع منها قادة كبار مثل الفاتح نور الدين زنكي الذي كان يحضر مواعظ الشيخ عبد القادر، وصلاح الدين الأيوبي وكان مع أبيه من مريدي الشيخ عدي بن مسافر شيخ أكراد هكّار، وكان الأيوبي أيضا من مريدي الشيخ الجيلاني. ولقد كان لمواعظ الباز عبد القادر الجيلاني أثر جلي مباشر في توحيد صفوف المسلمين خلف الفاتح نور الدين ثم صلاح الدين الأيوبي وكان من نتائجها تلك الروح القتالية والبصيرة النافذة والعزم الوقّاد التي أثمرت ملاحم حطّين وفتح بيت المقدس. وكان من أثر تلك الروحانية العالية خبر الفاتح نور الدين زنكي ورؤياه للنبي في المنام وما كان من كشف شابيّن أرادا سرقة الجسد الشريف. ويمكن تتبع الأثر التحفيزي للتصوف الدافع للذود عن

الحرمات وعن الأوطان والصمود في وجه الغزاة في سيَر الكثير من أقطابه وأعلامه سواء بالوعظ والإرشاد أو بشكل نضالي مباشر كما هو الحال مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي خاصة في صد هجوم لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة، فبعد سقوط دمياط كان الشيخ الشاذلي في معسكر القتال بالمنصورة رفقة نخبة من أهل العلم والتصوف، محفّزا للناس والجند مانحا العزائم قوة والإرادة صلابة وانتهى الأمر بالانتصار وأسر لويس التاسع، ويذكر أحد تلاميذه الشيخ ابن عطاء الله السكندري (صاحب كتاب "تاج العروس" الشهير أو ما يعرف بالحكم العطائية) فى لطائف المنن هذا الأمر، قال : أخبرنى الشيخ مكين الدين الأسمر قال : "حضرت فى المنصورة فى خيمة – فى معسكر القتال – فيها : سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام،

والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، والشيخ مجد الدين على بن وهب، والشيخ محى الدين بن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمى، والشيخ أبو الحسن الشاذلى، ورسالة القشيرى تقرأ عليهم". وهو دليل على أن الصوفية كانوا فاعلين مؤثرين ولم يكونوا قوما هائمين غائبين عن واقع الناس كما صورهم بعض المستشرقين مركزين على أحوال وقصص مفردة مثل ما كان من أمر الحلاج وتهيامه أو ما تم فهمه من وحدة الوجود والحلول لدى كل من الحلاج ومحي الدين بن العربي ولعلّ فيه الكثير من الوضع والزيادات.

وهنالك نماذج قريبة تثبت ذلك على رأسها الأمير عبد القادر الجزائري (شيخ الطريقة القادرية بالجزائر في وقته خلافة لأبيه الشيخ محي الدين) و الشيخ عز الدين القسام (خليفة السادة التجانية فى فلسطين)، والشيخ

بوعمامة شيخ الطريقة الشيخية بالجزائر، والشيخ عمر المختار شيخ الطريقة السنوسية أخذا عن شيخه المجاهد أحمد الشريف الذي تم نفيه إلى تركيا. وكذلك عبد الكريم الخطابي وعبد القادر الحسيني وسواهم كثير يثبت ما لأهل التصوف الحق من أثر فعلي في مجتمعاتهم ومن دور قيادي في التصدي للعدوان وحماية الأعراض والأوطان.

فهذه خلاصة جامعة عن حقيقة التصوف ومسار نشأته وسرّ منبعه وكونه آخذ من سند القرآن وسبب من الرحمن، متمسك بسنة المصطفى ترقيّا لمقام الإحسان، تزكية وسلوكا وصفاء لسريرة الإنسان. وفيه صلاح للمعتقد ودرء لما فسد، ومعرفة بحكمة الأحكام وما جعل الشارع فيها من إحكام. وفيه خير للمجتمع

ونفـع للأمـة وتحفيـز للعـزائم وجـلاء للبصـائر وتمكينـا للضمائر. وفيه أدب وأخلاق وذوق رفيع وطرب بالحق وللحق. ولكّنه محكوم بضوابط العلم مقيّد بسلامة الفهم كـي لا يكـون تهويمـا وجـدلا عقيمـا وانعـزالا عـن النـاس واعتزالا للدنيا، رغم أن فيه للزهـد مكـان وللخلـوة ركـن وللانـزواء زاويـة، ولكـن ذلـك مرحلـيّ وقـتي يرجـع بعـده الصوفي الحق وقد انجلت بصيرته وصلحت سريرته ليؤدي واجبـه ويقـوم برسـالته نفعـا للإنسـانية ونصـحا للأمـة وخدمـة للـدين. ومـن أجمـل مـا قيـل في التصـوف قـول الصوفي العلامة أحمد زروق في "قواعد التصوف": " فلا تصـوف إلا بفقـه، إذ لا تُعـرف أحكـام الله الظـاهرة إلا منــه، ولا فقــه إلا بتصــوف، إذ لا عمــل إلا بصــدق وتوجـه، ولا همـا إلا بإيمـان، إذ لا يصـح واحـد منهمـا بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم، كتلازم الأرواح

للأجساد، إذ لا وجود لها إلاّ فيها، كما لا كمال له إلا بها، فافهم".

لمحة تاريخية عن التصوف بتونس

لا ينفصل تاريخ التصوف بتونس عن الحركة الصوفية في المشرق وبواكير انتقالها لبلاد المغرب منذ القرن الثاني والثالث للهجرة، لكنّها انتشرت بشكل جلي في القرنين الخامس والسادس ليكون ذلك منطلقا لانتشار واشع وظهور طرق وأعلام للتصوف في بلاد المغرب عموما. والأمر يرتبط أساسا كما سبق البيان بردّة الفعل القوية ضدّ انتشار الترف وظهور مظاهر لم يستسغها القوم فآثروا الزهد والاعتكاف والبعد عنها. ثم إن الحاجة الماسة لمراقبة ثغور المسلمين أوجدت رباطات جمعت بين الميل للزهد والرغبة في مراقبة الثغور وحماية المسلمين من الغزاة. وإن تونس كانت أنموذجا في ذلك فانتشرت

الرباطات فيها مثل رباط المنستير ورباط سوسة ورباط قصر الطوب وغيرها. وهذه الرباطات ومن كان فيها جسدت روحا نقية للتصوف الزهدي حتى لئن لم يتبلور فيها تصوف طرقي معلن، أو ناقضتها بعض حركات تدعي الانتساب للتصوف.

لكن التصوف ظهر بشكل أجلى عبر أعلامه الذين ذاع صيتهم وكان أثرهم على الناس والمجتمع وعلى الحكام كبيرا، جامعين بين الزهد والرباط، وبين العلم ونفع الناس. ولا يمكن الحديث عن هؤلاء دون ذكر أبي سعيد الباجي الزاهد المرابط الفقيه. وأبي الحسن الشاذلي، ومحرز بن خلف الذي سمّاه أهل تونس بسلطان المدينة لما له من قيمة ودور كبير. وأحمد بن عروس الذي انتشرت طريقته العروسية وكان من تلاميذه بوراوي الفحل (الولي الأشهر بمدينة سوسة) والشيخ عبد

السلام الأسمر. وكذلك السيدة المنوبية وما كان لها من دور اجتماعي وتأثير سياسي وروحي قوي. وإن الباحث في سير هؤلاء يجد شواهد وأدلة على دورهم الكبير ومقامهم الرفيع وسعة معارفهم وتبحّرهم في العلوم وخدمتهم للمسلمين ونصحهم للحاكم والمحكوم وزهدهم في السياسة والحكم وسياحتهم في الأرض تعبّدا وتزهّدا. وقد عمرت بهم أماكن سميت بأسمائهم لأنها لم تكن دونهم: مثل مدينة سيدي بوزيد التي سميت باسم الولي الصالح بوزيد الشريف. أو مدينة سيدي بوسعيد التي لم تكن لولا وجود أبي سعيد الباجي في جبل المنار وتعبّده ودوره في مراقبة البحر لحماية تونس من القراصنة والغزاة ضمن خط رقابة جبلي يمتد إلى بنزرت قام عليه جماعة من الزهاد الذاكرين المرابطين. وأسماء المدن التي تسمت بأوليائها وأعلامها الصوفيين والمرابطين والزهاد

كثيرة مثل سيدي علوان وسيدي علي بن نصر الله وسيدي عمر بوحجلة وسيدي مخلوف وسيدي سلاّم....

إن بعض المستشرقين نسبوا للزوايا الصوفية وأهل التصوف عامة الخمول والسلبية، وحاول المستعمر الفرنسي تبني بعضها، ولكن التاريخ يشهد بعكس ذلك، فقد كان للولي العابد والصوفي الزاهد أبو علي النفطي دور كبير في الحفاظ على المذهب المالكي بالجنوب التونسي أمام المد الشيعي الإسماعيلي حتى سمي بأبي علي السني. كما أن سيدي مهذب الشريف كان قائدا لكتيبة من المرابطين بين قابس وصفاقس كان معظمهم من مريديه، وكان العلامة سيدي علي النوري الذي جمع بين الفقه والتصوف مجاهدا حتى أنه أنشأ في القرن السابع عشر للميلاد أسطولا بحريا لمواجهة

القراصنة النرمان وحماية مدينة صفاقس. وقد دعمت الطرق الصوفية ثورة علي بن خليفة النفاتي ضد الاستعمار الفرنسي بشكل مباشر، وكانت تدعم حركات النضال والمقاومة وانخرط عدد كبير من الصوفية في ذلك ميدانيا. وكانت الزاويا ملجأ ومأمنا للمقاومين مثل زاوية سيدي عبد الله بوجليدة بتطاوين، والتي كانت أيضا مكانا لاجتماع القبائل لعقد الصلح ولفك النزاعات وغيرها من الأدوار التي اضطلعت بها الزوايا الصوفية بتونس. فبالإضافة لتعليم القرآن واللغة العربية والفقه، ونشر الكتاتيب في كامل أصقاع المغرب العربي الكبير، كانت تلك الزاويا ملجأ للناس بين فقير محتاج وغني مبتلى وهارب مظلوم أو عاص تائب، وكانت زاوية أم الزين الجمالية مثلا نموذجا لكل ذلك ولم يكن أحد حتى الباي يجرؤ على اقتحامها لما للولية الصالح أم

الزين من مكانة استحقتها بمحبة الناس لها وبكرامات أكرمها الله بها وعاينها الباي حمودة باشا بنفسه وهو من بنى لها زاويتها إكراما ومحبة واحتراما واعترافا رسميا بها، أو القائد جعفر بن خذر وفق رواية أخرى بعد أن شفعت له لدى الباي.

ولا يمكن الكلام عن التصوف في تونس دون ذكر العلاقة بين جامع الزيتونة وعدد من الزوايا الصوفية التي كان التلاميذ فيها يرتقون للوصول للدراسة فيه، فقد كان طلبة العلم في الجنوب يدرسون في زاوية الغوث في دوز أو زاوية النويّل قريبا من دوز ثم ينتقلون للدراسة في زاوية سيدي المولدي التي تخصصت في الفقه وتحفيظ القرآن والتزكية، وبعدها ينتقل المميزون منهم للدراسة في جامع الزيتونة. وكانت هذا الزوايا منارة للعلم والتربية.

أما غرب البلاد التونسية فلا يمكن الحديث عنه دون ذكر الزوايا الصوفية والصالحين من أهل التصوف والعرفان أمثال سيدي علي بن عون وزاوية سيدي احمد التليلي ودوره العلمي والإصلاح وكذلك دور جده سيدي تليل بن نصر العثماني (من أحفاد الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه) والصالحين من أبنائه وأحفاده وعلى رأسهم بوضياف ويونس.

أهم الطرق الصوفية بتونس

الطرق الصوفية بتونس كثيرة، منها طرق وافدة، وأخرى ناشئة محليا، ومنها طرق تفرعت عن طرق أخرى.

*‏**الطريقة القادرية:** نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني (470 هـ - 561 هـ)، وتذكر المصادر أن أول من أدخلها إلى تونس هو الشيخ محمد المنزلي، ومن أهم زواياها الزاوية القادرية بمنزل بوزلفة بالشمال التونسي وزاوية سيدي المولدي بالجنوب (مدينة توزر)، وزاوية سيدي إبراهيم الشريف بنفطة. وللطريقة القادرية عدد كبير من المريدين ولها جذور عميقة.

*‏**الطريقة الشاذلية:** نسبة لمؤسسها أبو الحسن الشاذلي(علي بن عبد الله بن عبد الجبار) (593-

656هـــ) – (1197م-1258م). وهـــي تـــرتبط بشخصية الشيخ الشاذلي وأثره الكبير في حياة الناس في تونس بداية ثم في مصر وفي الأحداث كما سبق البيان. وهذه الطريقة منتشرة بشكل كبير ومقرّها الأساس زاوية الشيخ الشـاذلي بتـونس العاصـمة قـرب مقـبرة الجـلاز حيـث المغـارة الشـهيرة الـتي كـان يعتكـف فيهـا. ومـن تلاميـذه في فـترة إقامتـه بتـونس رجـال الأربعـين[8] الـذين

[8] رجال الأربعين نشروا الطريقة الشاذلية وكانوا من تلاميذ الشيخ الشاذلي وحوصروا معه قبل خروجه من تونس واشتهروا بالولاية والصلاح وأغلبهم معلوم إلى اليوم في مقاماتهم التي حافظ عليها التونسيون ويزورونها باستمرار وتسمى بعض المناطق بأسمائهم ولهم مناقب تخص كلا منهم وهم: أبو الحسن علي الحطاب- محمد القرطبي-ماضي بن سلطان-عبد المغيث الطنجي - عبد الملك الزعزاع- احمد الغرابلي-عمر السبتي-محمد الصمعي- أبو محمد الحبيبي -علي بن مخلوف- محمد الصابوني -عمر الجاسوس- إبراهيم المز وغي - احمد اليمني- إبراهيم الزواوي- محمد الفارسي- محمد الريغي - علي ا لمزاتي- أبو القاسم القرطبي- محمد القطاع- إسماعيل الهنتاتي - تاج الدين الصنهاجي- محمد الجباس- عطية المسروقي- علي القرجاني- عبد الرحمان الصقلي- بوزيان

نشروا الطريقة بعده ورأسهم الشيخ علي الحطاب (يلقب ببواب مكة) وسيدي ماضي بن سلطان. وأعلام الطريقة الشاذلية كثر من أهمهم الشيخ أبو المواهب الشاذلي وكان شيخا للعارف بالله سيدي أحمد زروق. وأوراد الشاذلية وأدعية الشيخ الشاذلي مثل حزب البحر وحزب الفتح مشهورة في تونس وتردد لليوم في مقام الشيخ الشاذلي مع الكثير من الدورس في الفقه والعقيدة والتصوف.

*الطريقة التيجانية: تنسب لمؤسسها الشيخ أحمد التيجاني. وكان أول من أدخلها لتونس سيدي إبراهيم

الداودي- سعدون الأسمر - بلقا سم الدباع- محمد الشريف- محمد القوافي- عبد الله القرطبي- محمد التراب - احمد المز وغي- عبد الرحمان السبني - محمد الغماري - سالم التباسي - حسين السيجومي - عبد الوهاب - سفيان الباجي -عبد الرحمان الحلفاوي- ابن خلف المسروقي.

الرياحي الفقيه العلامة (1180-1266 هـ). وكان في البداية شاذلي الطريقة ثم التقى الشيخ علي بن حرازم تلميذ الشيخ التيجاني والتقى بعد ذلك الشيخ التيجاني بالمغرب ضمن زيارة رسمية كلفه بها الباي.وللطريقة التيجانية انتشار كبير في تونس أيضا وأعلام معروفون.

***الطريقة العروسية:** نسبة للولي الصالح العارف بالله سيدي احمد بن عروس (أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الهواري، المعروف بأبي الصرائر،. ولد عام 778 هـ بمدينة تونس وتوفي بها في 21 أكتوبر 1463 (عام 868 هـ). وقد نشرها بشكل كبير الشيخ عبد السلام الأسمر أخذا عن الشيخ أحمد بن عروس وعن الشيخ بوراوي الفحل. ولها امتداد بتونس وليبيا.

*الطريقة العيساوية (نسبة للشيخ محمد بن عيسى المغربي الحسني دفين مكناس من رجال القرن التاسع

للهجرة يلقب بالشيخ الكامل). ولهذه الطريقة منتسبون في كامل المغرب العربي ولها وجود عميق بتونس ومدائح وأذكار تتميز بها.

*الطريقة المدنية: متفرعة عن العلاوية الشاذلية، تنسب للشيخ محمد المدني الذي سيرد ذكره لاحقا. وهي طريقة منتشرة جدا حتى تكاد تكون بفرعيها (الإسماعيلية ثم القاسمية المتفرعة عنها) أكثر الطرق انتشارا في البلاد التونسية اليوم ولها دور هام سوف نذكره.

*الطريقة القاسمية: نسبة للشيخ بلقاسم بالخير، وكما سبق البيان هي متفرعة من الاسماعيلية المدنية، وهي اليوم وفق الإحصائيات أكثر طريقة منتشرة في تونس ولها أكثر من 400 زاوية وما يقارب 250 ألف مريد.

وهنالك طرق أخرى كالطريقة الرحمانية الخلوتية (زاوية سيدي علي بن عيسى بالكاف) والبرهانية الدسوقية نسبة للشيخ إبراهيم الدسوقي) ولها وجود في الجنوب التونسي خاصة (زاوية البرهانية بمدينة بنقردان).

كل هذه الطرق وسواها امتزجت بالقافة التونسية وكان لها عميق الأثر في حياة التونسيين في مختلف الجوانب، ورغم الإهمال الذي طال عديد الزوايا كما سيرد البيان فإن الطرق الصوفية بتونس ركن مهم وأساسي، وكذا الشأن للطرق الصوفية بالمغرب والمشرق العربي والعالم الإسلامي وهي كثيرة ليس هذا سياق تفصيلها.

التصوف قبل الثورة

من بين الأخطاء الكبيرة لدولة ما بعد الاستقلال: إغفال الجانب الصوفي وعدم العناية بالبعد الديني بشكل فعلي يعطي قيمة لجامع الزيتونة ويمنح مجالا للطرق والزوايا الصوفية لتهذيب النفوس وتكوين الناس روحيا وعقائديا. وهو ما أدى إلى شبه تصحّر ديني تعمّق تدريجيا خاصة زمن النظام الذي قامت عليه الثورة.

لكن في ظلّ ما لقيه الإسلام السياسي من تضييق واضطهاد، وما أتبعه من تضييق على الملتزمين دينيا، كانت الطرق الصوفية ملاذا لكل من يرغب في فسحة للعبادة والذكر. وقد غلب على الصوفية الإنشاد

والمـــدائح النبويـــة وقصـــائد تتغـــنى بأقطـــاب الطريـــق وتستجلب مـدد أهـل الله وبركـاتهم وتحكـي عـن مـآثرهم وكرامـاتهم. أو تكـون فيهـا المـواعظ والآداب ووصـايا الشيخ للمريد. ومن أشهر هذه الأناشيد قصائد الشيخ عبد السلام الأسمر الشهيرة مثل "يا فارس بغداد" و"يا بن عروس شكيتلك باحوالي" و"سيدي بوراوي فحل ما ينسـاني" "ويا قمـرة الليـل". او قصـائد تمدحـه ينشـدها "السـلامية" المنسـوبين إليـه مثـل "لـولا اللطـف" و"نادوا باباكــم يا فقــرا". وذاعــت أناشــيد أخــرى يحفظهــا التونسيون ويحبونها مثل "يا بن حسن يا شاذلي" و"على رايـس الأبحـار" وهـي عـن سـيدي أبي سـعيد البـاجي، و"هيا نزرو شيخنا يا فقرا" وهي عن ولي زغوان سيدي علي عزوز. و"مـاك السلطان يا شيخ محرز" وهـي عـن الشيخ محرز بن خلف. و"نمدح لقطاب" وهي عن نخبة

من أولياء تونس. وذكر هذه الأناشيد ليس من باب السرد، بل لتبيان تجذّر وتوغّل التصوف كروح وكحال من الطرب والمحبة والعشق الذي امتزج مع الأشعار الجميلة والأصوات الشجية ليعطي برهانا عن حب التونسيين للصالحين في أرضهم واعتزازهم بهم. كما يبيّن أن التصوف كان حاضرا بشدّة في حياة التونسيين وخاصة في أفراحهم حيث أن الفرق الصوفية والمدائح كانت حاضرة بقوة في الأعراس بل إن مدنا في تونس لديها خاصيات ترتبط بالتصوف فيما يسمى "الحضرة" مثل أعراس مدينة زرمدين وكذلك أعراس مدينة المهدية. وإن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف موعد لعبق التصوف وأناشيد أهل الطرق كلّ يدلي بما لديه حتى تجد تنوعا وتفرّدا وإبداعية كبيرة مثل مدائح الطريقة

البرهانية (سيدا لم تزل وغيرك زالوا" والعيساوية "خمّر يا الخمّار" وغيرها.

كل هذا كان متنفّسا هاما، لكن الغائب الأهم هو علم التصوف وما فيه من علوم تربية وتزكية وسلوك وما يصحب ذلك وفقه وعقيدة. ولذلك تحولت نسبة كبيرة من التصوف التونسي قبل الثورة إلى فلكلور تم استثماره في أعمال فنية مثل "الحضرة". وتم هجران عدد كبير من الزوايا التي سيطرت عليها مشاهد غريبة عنها مثل أنواع من الدجل وبيع الوهم، وهنالك زوايا أخرى هجرت تماما مثل زاوية سيدي جمور بجربة، في حين تم الحفاظ على بعض الزوايا والمقامات دون هجر وإهمال ودون دخلاء.

لقد كان أهل التصوف أهل علم وفقه، فمن ذلك أن نسبة كبيرة من علماء الزيتونة كانوا متصوفة، وكذلك أعلام الفقه من أمثال سيدي علي النوري صاحب العقيدة النورية وتلميذه سيدي علي بن خليفة المساكني الذي لا تزال زاويته موجودة إلى اليوم في مدينة مساكن. ومن رجال التصوف الجامعين بين الفقه والسلوك نذكر الشيخ محمد المدني (ولد سنة 1888 م وتوفي سنة 1959 م). وقد حفظ القرآن صغيرا، ودرس في جامع الزيتونة المعمور متتلمذا على أبرز شيوخه مثل شيخ الإسلام الحنفي محمد بن يوسف و شيخ الإسلام المالكي بالحسن النجار و العلامة محمد طاهر بن عاشور. ثم أخذ التصوف عن الشيخ أحمد العلوي المستغانمي ومكث قرابة الخمسين عاما في تعليم التصوف والتربية حتى أصبحت الطريقة المدنية وما تفرّع

عنها أكثر الطرق انتشارا بالبلاد التونسية. وقد ظلّت زاويته عامرة يأتيها المريدون من كل حدب وصوب سواء من تونس او من خارجها إذ لها فروع في دول اوروبية كثيرة خاصة فرنسا، وتولى مشيخة الزاوية المدنية بقصيبة المديوني الشيخ منوّر بن محمد المدني ومن فروع الطريقة المدنية المتفرعة من الطريقة الشاذلية نجد الطريقة الاسماعيلية نسبة للشيخ إسماعيل الهادفي وهو تلميذ الشيخ محمد المدني ومقرها توزر بالجنوب التونسي، وتفرعت عنها الطريقة القاسمية نسبة للشيخ بلقاسم بن الخير العبيدي الذي أخذ الطريق عن الشيخ اسماعيل الهادفي ومقرّها المركزي في مدينة الرديف التابعة لولاية قفصة. وتعتبر الطريقة القاسمية اليوم أكثر فروع المدنية انتشارا إذ يقدّر عدد المنتسبين إليها بمئتين وخمسين ألف

مريد، ويقدّر عدد الزوايا الفرعية بأربع مائة زاوية منتشرة في كامل تراب الجمهورية كما سبقت الإشارة.

إن حال التصوف قبل الثورة التونسية، كان بين التهميش المتعمد من الدولة لدور الزوايا التي رأى بعض المثقفين أنها سبب للتخلف، والتراخي في التعامل مع الطرق النشطة، لكن دون تضييق شبيه بالتعامل مع الإسلام السياسي، ورغم أن زوايا كثيرة تم هدمها بعد الاستقلال، إلا أن الدولة سرعان ما تفطنت لقيمة ترك متنفس ديني، وقد كان لمشايخ الطرق الصوفية بتونس فضل كبير في الحفاظ على وجوده ودوره الحيوي الهام، لكن التشتت وعدم التنسيق بينها وعدم وجود رابط تنظيمي جعل العمل أكثر صعوبة وأقل نجاعة باستثناء ما كان من أمر الطريقة المدنية أو بعض زوايا الطريقة القادرية (كزاوية سيدي المولدي بتوزر) والشاذلية (مثل

النشـاط في مقـام سـيدي بلحسـن الشـاذلي بتـونس) وكـذلك زاوية الشيخ عمار لبيض في بنقـردان الحدودية مـع ليبيـا. دون أن نغفـل دور المـربي الشـيخ الهـادي الحفيان بمدينة سبيبة وكان على الطريقة الرحمانية المنسوبة لمؤسسـها الشـيخ محمـد بـن عبـد الرحمـان الأزهـري سـنة 1183 هجـري بالجزائـر. وكـان أول مـن نشـرها بتـونس زاويـة سـيدي علـي بـن عيسـى في مدينـة الكـاف سـنة 1774 ميلادي. وكان للزاوية دور كبير في نشر الطريقة الرحمانية وفي مقاومة الاحتلال الفرنسي.

جانب آخر مهم فيما يخص التصوف بتونس قبل الثورة، وهـو مسـألة الـزيارات الكـبرى ومـا يسـمى بالـزردة، ففـي مـدن تـونس كلهـا تقريبـا توجـد زيارات كـبرى للأوليـاء الصـالحين كل عـام، إضـافة إلى الـزيارات العـادية اليوميـة. وقد تميزت بعض المدن بتلك الفعاليات التي كانت تجمع

بين الترفيه والمظاهر التراثية من شعر شعبي وفروسية وأناشيد، وبين التفاعل الاجتماعي المحلي والاقليمي إذ يأتي الزائرون من ليبيا ومن المغرب ومن الجزائر، ومن بينها زردة سيدي خليف في منطقة اولاد حفوز التابعة لولاية سيدي بوزيد، وزردة سيدي احمد التليلي التي تحولت إلى مهرجان. وزردة سيدي علي بن عون التي اعتبرت أكبر مهرجان في شمال إفريقيا من حيث عدد المشاركين والزائرين، وزردة التوي في صحراء بنقردان بالجنوب التونسي والتي يحضرها ليبيون وجزائريون خاصة من وادي سوف واهالي الجنوب خاصة قبيلتي التوازين والربايع بأعداد تصل إلى خمسة آلاف إنسان. وهذه المناسبات يكون فيها مجال للتعارف وتقوية روح التعايش والتآلف وإطعام المسكين والتصدّق وفيها إنعاش

للاقتصاد لأنها نوع من السياحة التي يأتيها الناس من داخل البلاد وخارجها.

وما ميّز هذه الفعاليات وجود خاصية المدن والزوايا التي تتبعها حتى من الجانب الفني، فمثلا للجليدات في تطاوين نسق خاص في الأناشيد، وللعوامرية (نسبة لسيدي عامر المزوغي ومقامه في مدينة الساحلين التابعة لولاية المنستير بالساحل التونسي) نسق خاص أيضا، ولكل طريقة نسق مخصوص مما ميّز البرهانية الدسوقية (نسبة للشيخ إبراهيم الدسوقي) عن السلامية (نسبة للشيخ عبد السلام الأسمر) وعن غيرها. وهذا التنوع يوفر ثراء حضاريا وفنيا وأدبيا كبيرا وهاما.

مختزل الكلام أن التصوف في تونس قبل الثورة كان يشكو من إهمال الدولة ولكنه كان يقوم بدوره في مجال التزكية والذكر وتهذيب الأنفس، وكان له دور اجتماعي

وثقافي واقتصادي كبير، مع بعده عن السياسة ومعتركها ونأيه عن مسارات الاسلام السياسي الذي اخذ موقفا عدائيا من التصوف ناسبا إليه التخاذل كما أخذ العقل الحداثي مواقف حادة جاعلا التصوف سببا في التخلف وهو حكم غير صائب ولئن ظهرت مظاهر من الجهل في بعض الزوايا ولدى بعض المنتسبين للتصوف فذلك لا يعني الحكم العام بل هو ناتج وليس سببا والمسبب في عمق استراتيجية الدولة نفسها.

التصوف بعد الثورة وانتشار الفكر الوهّابي

بعد الثورة تنفس الصوفيون كغيرهم من التونسيين السعداء وتفاءلوا خيرا، وقد تم السعي لإعادة تعمير وإصلاح عدد كبير من الزوايا المهجورة لتكون منارات لتعليم القرآن والفقه والتصوف كما كانت، وهذا ما تم مع زوايا منها زاوية سيدي زايد بجزيرة جربة التي افتتحت فيها مدرسة قرآنية، وكذلك زاوية سيدي مخلوف قرب مدينة مدنين وسواها كثير. ولكن بقيت زوايا كثيرة أخرى مهملة وتحتاج للصيانة مثل زاوية سيدي عبد الحميد بسوسة والمدرسة القرآنية المتاخمة لزاوية سيدي مهذب بمدينة الصخيرة أو المدرسة القرآنية بزاوية سيدي اسماعيل بمدينة زرمدين.

لكن في غفلة أو دهشة الجميع تم افتتاح مدارس قرآنية جديدة كثيرة وجمعيات عديدة نشرت كلها الفكر السلفي الوهابي الذي يكفر الصوفية كلهم ويجعل مجرد زيارة ولي شركا تاما. ثم لم يكتف هؤلاء بهذا بل عمدوا إلى حرق وتخريب أكثر من مئة زاوية وعلى رأسها زاوية سيدي ابي سعيد الباجي وزاوية السيدة المنوبية الأمر الذي صدم جميع التونسيين لأن فعلا من ذلك القبيل لم يكن ليخطر ببال أحد منهم بل وسبب صدمة لمتساكني المدن التي بنيت بسبب ذلك الولي مثل مدينة سيدي بوسعيد. وقد أسسنا لأجل ذلك ولجمع كلمة المتصوفة بتونس وجميع الطرق الصوفية "اتحاد الطرق الصوفية" الذي كان له دور كبير في إيقاف حرف تلك الزوايا ودفع الدولة لإصلاحها رغم أن الاسلام السياسي كان يدعم التيارات السلفية بأشكال عديدة.

لقد تحولت تلك الفرحة بالثورة إلى غم وبلاء لعموم التونسيين وللصوفيين خاصة، رغم أن العنف السلفي وصل إلى الفنانين والمثقفين والسياسيين والأمنيين والعسكريين بعد ذلك عندما انبثق من رحم الفكر الوهابي التكفيري تنظيمات إرهابية مقنعة بداية ثم انكشف قناعها وظهر تورطها في القتل والتدمير وحرق الجبال والغابات والزوايا والاغتيال السياسي على غرار تنظيم أنصار الشريعة وما تعلق به من خلايا عنقودية نائمة أو مفعلة مثل كتيبة عقبة بن نافع.

ولم يكن المخطط الوهابي الذي دمّر من قبل الآثار النبوية وآثار الصحابة في مكة والمدينة وسائر الحجاز والعراق واليمن، لم يكن ليتوقّف عند حد او يرتدع لرادع، وهو الذي تم رفضه كليا وقطعيا من أهل إفريقية وعلماء الزيتونة وحكام البلاد حينها (حمودة باشا والذي

كلف كلا من الشيخ التميمي والشيخ عمر المحجوب بالرد على رسالة محمد بن عبد الوهاب النجدي لأهل إفريقية يدعوهم فيها للتوحيد أو القتال بالسيف، وكان الرد مفحما قويا تمثل في رسالة الشيخ التميمي وهي مطولة وفي رسالة الشيخ المحجوب وهي مختزلة وهم من هم قيمة وعلما). وربما انتقم الوهابيون بعد الثورة من تلك الرسائل الدامغة. والمشروع كان عاما ولم يكن تونسيا فقط، ففي ليبيا صعق كل صوفية العالم الإسلامي بتدمير مقام الشيخ المربي والولي الصالح سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري والتي كانت منارة للعلم واخرجت مليون حافظ للقرآن وفيها الجامعة الأسمرية التي يأتيها الطلبة من كل ارجاء العالم الاسلامي. وتم تدمير جميع الزوايا والمقامات تقريبا بكامل التراب الليبي مثل زاوية سيدي الشعاب وزاوية

سيدي الاندلسي والزاوية السنوسية وتم نبش قبور عدد كبير من الفقهاء والصالحين مثل سيدي احمد زروق. بل تم اغتيال اعداد كبيرة من مشايخ التصوف في ليبيا ويتم اغتيالهم عادة يوم الجمعة عند صلاة الفجر تقربا لله وفق المعتقد الوهابي.

لم يصل الأمر في تونس لهذه الدرجة لكن كان يريد بلوغ ذلك وتجاوزه، ولم يكن حكام البلاد حينها يعون خطورة الامر او ساهموا فيه بدرجات مختلفة لقرب الاسلام السياسي من التيارات السلفية ويجمعهم الجانب الجهادي وهو ما تم عبر كتابات وايديولجية سيد قطب والمودودي.

لقد كانت سنوات 2011 و2012 سنوات صعبة جدا على التونسيين وعلى المالكية والصوفية خاصة، فحتى المساجد تمت السيطرة على معظمها من أصحاب

الفكر السلفي الوهابي فكفروا الناس ونشروا الشك المذهبي والعقائدي وغرروا بأعداد كبيرة من الشباب تحول جزء كبير منهم إلى إرهابيين ومقاتلين في تنظيمات دولية وألقوا في أتون حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل مثل الحرب في سوريا فكان منهم في جبهة النصرة والعدد الأكبر في تنظيم الدولة (داعش). في حين لبث آخرون في معسكرات درنة للتدريب بليبيا او في خلايا نائمة بتونس.

خلاصة الأمر: فرحة وابتهاج بعد الثورة مباشرة، وسعي لإحياء التصوف وإعادة إعمار الزوايا، ثم خيبة أمل عميقة وحرق للمقامات والزوايا وتكفير للصوفيين الذين رغم كل ذلك آثروا المنهج السلمي ولم يسقطوا في فخ العنف وهو امر يحسب لهم حفاظا على السلم الأهلي في البلاد التونسية.

الوضع الحالي وإشكالياته

الوضع الحالي مُركّب ومربِك: مركّب من حيث أنه يحمل احتمالات كثيرة تتعلق بالوضع الاقليمي والانتصارات السريعة والكبيرة لتنظيم داعش الوهابي. وما يجري في ليبيا من اقتتال. ومستقبل تونس ومسار الانتخابات الحالية ومنظومة الحكم القادمة وتوجهاتها العامة والخاصة.

وهو مربك لأن مشاهد القتل وذبح الجنود وتفجير الزوايا وحرقها مع التكبير هي مشاهد صادمة للناس عامة، فكيف باهل التصوف وهم محبون للسلم داعون إليه. لقد كان المأمول ان تقدم الثورات مزيدا من الحرية والمجال للجميع، لكنها انقلبت إلى حريق كبير استغلّه

فاسدو العقيدة وهم أشد ضررا وخطرا من فاسدي الأخلاق الذين طغوا وبغوا قبل الثورة بل لعلهم اتحدوا معا بعدها.

لقد تدهورت الحالة العامة للدولة في جميع القطاعات: ثقافيا وبيئيا واقتصاديا وأمنيا وصحيا وتعليميا. وهذا يؤثّر أيضا على المجتمع ككل، مما يشجع على الجريمة والعنف والنسب في ارتفاع كبير كمّي ونوعي، ويخلق مناخا مناسبا لتفريخ الفكر الإرهابي ونمو الخلايا الإرهابية النائمة، ولا بديل عن مشروع شامل يكون للتصوف دور مهم فيه لما له من أثر في الإصلاح الاجتماعي ولما يحمله المنتمون إليه من تأثيرات على مختلف القطاعات إذ يضم ممثلين لها جميعا ففي التصوف رجال دولة ورجال أعمال ومثقفون وفنانون وعلماء وتجاّر ومواطنون عاديون.

لكن أهم الإشكاليات هي التي نتجت عن اجتماع أخطاء ما قبل الثورة وأخطاء ما بعدها:

*التصحّر الديني وضعف التكوين العلمي في جانب الفقه والضعف العقدي، مما أعطى مجالا لتأثير الأفكار المتعصبة والعقائد المنحرفة.

*تغييب علماء الزيتونة وتلاميذهم والآخذين بنهجهم، وعدم الاستفادة الفعلية من شيوخ التربية والتزكية والتصوف.

*الفوضى التي صحبت الثورة وما بعدها، وضعف الدولة إو إضعافها، والعجز الكبير للحكام الجدد مما جعل التيارات السلفية تتغوّل وتتموّل وتتموقع وتنشر الكثير من الإرباكات في المجتمع.

*الحرب المعلنة التي شنها الوهابية على عقائد أهل تونس: المولد بدعة، والفاتحة على الميت بدعة، ومد اليد

في الدعاء بدعة، وغيرها من التبديعات التي ما أنزل الله بها من سلطان، مما خلق امتعاضا شعبيا كبيرا خاصة حين عمد عدد منهم لحرق المنار وقطعها لأنها بدعة وتحويل وجهة القبلة لأنها خاطئة وتعديل وقت الإفطار والإمساك في رمضان لأنه خاطئ وسوى ذلك من الأعمال التي لا تهدف إلى للفوضى وإلى تدمير التراث والثقافة والأصول الفقهية والعقائدية للبلاد التونسية ومحاولة فرض إسلام جديد لا يحوي روحانية ولا جماليّة ولا تصوّفا وتزكية بل عقيدة التجسيم والتكفير العقيم والجمود القاتل الذي يصنع إرهابيين لا علماء ولا ربانيين.

*غياب مشروع استراتيجي ناجع للمعالجة، وغياب الرؤية التكتيكية للتنفيذ، وقد حاولنا من خلال مشروع "ميثاق علماء تونس" الذي بنيتُ فكرته ووقّع عليه عدد

كبير من العلماء الزيتونيين أن نوحد الصفوف حول المرجعية الزيتونية وحول حقيقة المذهب والعقيدة والتزكية ولكن دعم الدولة كان غائبا رغم الوعود.

*لقد تم إقصاء عدد كبير جدا من الزيتونيين ومن الصوفية من المساجد وحل محلّهم السلفيون أو أنصار الإسلام السياسي فأصبحت المساجد مجالا لنشر التبديع والتشكيك والتضليل والشحن المذهبي والطائفي والسياسي، ومن بعضها صدرت دعوات للقتل ولما سمي بالجهاد في سوريا وصار بعضها الآخر اوكارا لغسل أدمغة الشباب وتفريخ الخلايا الإرهابية وحتى تخزين الأسلحة وهو ما تم اكتشافه بالدليل من قبل وزارة الداخلية. وهو وضع مستمر إلى اليوم رغم كل محاولات الحكومة. وحين يغيب صوت الإصلاح والاعتدال

والتزكية والتربية الروحية السليمة والعقيدة الصحيحة عن المساجد فإن ذلك باب لكل أنواع الكوارث والنوازل.

لكن برغم ذلك فإن الطرق الصوفية جميعا تقوم بدور مهم في محاولة لحماية المجتمع من التكفير وتشهد إقبالا متزايدا وخاصة الطريقة المدنية في قصيبة المديوني (الشيخ منوّر المدني) وفي سوسة (الشيخ المحسن بوكمشة) وفي صفاقس (الشيخ والمقرئ المداني بن الشيخ الطاهر عبد الهادي)، والطريقة القاسمية المتفرعة من المدنية (الشيخ بلقاسم بالخير). دون أن ننسى الطرق الأم (القادرية، الشاذلية، التيجانية، العروسية، العيساوية).... لكن هذا الدور لا يكفي في غياب تنسيق مع الدولة ومأسسة للتصوف وإدماج له في المناهج بما يحمله من ترياق لسم التكفير ومن علاج لوباء التكفير ومن حلّ لمعضلة الفكر الوهابي وغيره من الأفكار المنحرفة.

الآفاق المستقبلية

والدور المحتمل في التصدي للفكر التكفيري والإرهاب

حين تكشف التقارير الدولية عن أن تونس هي أول مصدّر للإرهاب وأن عدد الشباب التونسي في تنظيم داعش الإرهابي بالآلاف، وحين يعلن العالم حربه على الإرهاب، فإن أولى الناس بتوفير مناعة وعلاج هم المتصوفة.

وفق محاوراتنا مع العديد من شيوخ التصوف، فإن مستوى الوعي بخطورة الوضع قد تطوّر وتم تحيينه، إذ لا يخفى أن بعض الانزوائية غلبت على كثير من أهل التصوف مما جعل الآليات والوقائع غير محيّنة.

لكن هذا الأمر وفق رؤيتنا لا يمكن أن يتم في غياب دعم رسمي من الدولة، وتنسيق مع دول المغرب العربي وخاصة المغرب والجزائر، إذ أن لهما استراتيجيات متميّزة في دعم التصوف للوعي الفعلي بقيمته.

ليس الإرهاب مجرّد تنظيمات حركية جهادية تستخدم التفخيخ والانتحاريين والعمليات المباغتة والاعدامات والخطف والابتزاز، بل الإرهاب نسيج كامل فيه البعد العقائدي الديني متمثّلا في الوهابية تحديدا، والبعد الفكري التكفيري المسموم والخبيث الذي يتقن فن غسل الأدمغة والتغرير بضعاف العقيدة أو المتحمسين لأمجاد الخلافة، أو الشاعرين بالإهانة التي تلحق المسلمين وبالظلم المسلط عليهم خاصة في فلسطين. وله أبعاد ثقافية عبر نشر ثقافة الموت وكره الثقافة والفن والموسيقى والرسم والمسرح فهي جميعا محرّمات. وكذلك

أبعاد اجتماعية في استغلال الحالات المهمّشة والمفقّرة أو الباحثة عن معنى لوجودها والفاقدة لمعنى اجتماعي. وله أبعاد اقتصادية من تهريب وغسيل أموال وجريمة منظمة....

هذه الأبعاد جميعا تنطلق من الفكرة: تكفير سائر المسلمين وتبديع عقائدهم. وحين نعلم أن التصوف يتعلّق بالذوق ومقام الإحسان وبعلوم التربية ومراتب السلوك، فإن أول خطوة لهزم الفكرة الإرهابية يكون بزرع الفكرة الصوفية.

أعني بالفكرة الإرهابية الفكرة الوهابية التفكيرية المتطرفة. والكلام مخصص عن الإرهاب الذي يتخذ الإسلام قناعا وخداعا، لأن هنالك أشكال اخرى للإرهاب في العالم، لكن هذا الشكل هو أخطر ما يتهدد العالم اليوم، ولا يتعلق الأمر فقط بالقاعدة أو داعش التي كان

اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة الأخير إعلانا عن هلع دولي منها لما ظهر من خطورتها ومن تتابع مدّها لتكون أثرى وأقوى حركة إرهابية وليكون لها امتداد جغرافي بين العراق والشام وامتدادات خفيفة في كامل دول العالم لأنها في الأصل فكرة زرعها البعض مستخدما التطرف الوهابي لكنها انتشرت أكثر مما خططوا لها وصارت تهدد الجميع من رعاها وبناها ومن لم يردها منذ البداية.

الفكرة الإرهابية تنظّر لكراهية العالم، والفكرة الصوفية تنبني وتدعو لحب العالم.

الفكرة الإرهابية لا ترى في الله إلا معاقبا ساخطا ناقما، وكل خطبهم تتمحور حول عذاب القبر وإصابة السامعين بالهلع المرضي. في حين ترى الفكرة الصوفية

في الله مـولى الجـلال والجمـال والكمـال. هـي العـين المحمدية التي رأت الله رحمة ورأى الله فيها تمام الرحمة.
الفكـرة الإرهابيـة تـرى الحيـاة في قتـل الحيـاة وسـلبها.
والفكرة الصوفية ترى الحياة تواصلا بين الدنيا والآخرة.
الفكرة الإرهابية تخادع الروح بروحانيّة الوهم التي تحول الإنسان إلى شيطان معتقدا أنه قارب مصاف الملائكة وصـار الأقـرب لله ورسـوله. والفكـرة الصـوفية تسـمو بالروح وترتقي بالإنسان إلى ذوقية نقية وصفاء روحي حقيقي يجعل الإنسان أقرب من ربّه وأرضى لله ورسوله.
الفكـرة الإرهابيـة تـرى العقيـدة تجسـيما، وتـرى الشـريعة تحطيمـا وقطـع أيـد ورؤوس. أمـا الفكـرة الصـوفية فـترى العقيـدة كمـا رأى الأشـعري والماتريـدي وصـالح السـلف وسـائر الصـحابة إثبـاتا للصفات ونفيـا للجسـم ومشـابهة الكائنات. وترى الشريعة بعين المنّورين من فقهاء الأمة

ردعا لا قمعا وصلاحا للناس لا دمارا لهم. وما خرج ممن يدعي التصوف عن هذا في حلول لله في الحوادث أو غيره من الهذيان فليس من التصوف الحق في شيء.

الفكرة الإرهابية تدعي اتباع النبي بكره الاحتفال بمولده، وبهدم آثاره، وآثار أصحابه ومقاماتهم، وبنبش قبور الصالحين والعلماء والفقهاء وهدم مشاهدهم ومقاماتهم التي تمثل إرثا حضاريا وتواصلا تاريخيا. أما الفكرة الصوفية فهي المحبة الموصولة والسند المتصل والسلسلة النورانية التي لا ترى في الدين انقطاعا ولا ترى في الإسلام إلا ما أينع من حبّ وما أثمر من تبجيل وتقدير للسابقين بالإيمان وإجلال أهل الفضل والصلاح.

إصلاح الذوق الفكري والعقدي والشرعي والاجتماعي والروحي هو أمر ضروري لتحصين الشباب من الوقوع في حبائل الإرهاب عقديا وفكريا واجتماعيا. لأن مرض

الذوق سينجر عنه السقوط في الأوهام التي بتقمّصها تغدو الحقائق وهما والأوهام حقائق مطلقة لا ينبغي مناقشتها ويجب قتل الخارج عنها. وكما قال المتنبي: وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ, يَجِدْ مُرّاً بهِ الماءَ الزُّلالا.

فذلك المرض الذوقي يجعل الحياة كريهة مريرة ملعونة ومن غمرته هذه الطاقة وسيطرت على لبّه تلك الأفكار فليس غريبا أن يفجّر جسده أو يقطع رؤوس إخوانه من البشر وهو يكبّر ثم يرقص طربا وغبطة.

التصوّف الإسلامي بما يحمله من تسامح، ومن عمق اجتماعي وقدرة على الإقتراب من الناس ومذاكرتهم واستقبال جميع فئاتهم ومحاورتهم حوار القلب للقلب، وعلى دمج الثقافي والأدبي والفني ووجود أبعاد موسيقية فيها علاجات للنفس، فلا يخفى ما للموسيقى الراقية من أثر في تهذيب النفس وعلاجها، لذلك تجد

التفكيريين يحرّمونها بالكليّة، في حين يفرد التصوف بابا لها ضمن السماع العرفاني.

صبغة الجمال في التصوف علاج أيضا، والمزج بين صبغتي الجمال والرؤية الجمالية للعالم (لا الرؤية القاتمة السوداء المقيتة) وصبغة الموسيقى المروحنة والأناشيد الزكية والكلمات التي تحبب الإنسان في رب الوجود وتجعل الوجودات شواهد على جمال رب الموجودات، كل هذا دواء شاف وترياق كاف لسم التفكير ونزعات التعصب والتطرف. ولقد قال الشيخ الرئيس ابن سينا: من لم يحرّكه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج. ولذا وجب الانتباه لقيمة المعالجة الفنية والثقافية والأدبية ولقيمة التصوف كجامع لها دون الاستغناء عنها وعن دور مفرد لكل منها يمكن تفصيله في أطر أخرى.

ولـذلك فـإني أرى أن وعـي العـالم بقيمـة التصـوف الإسـلامي ودوره سـيمنحه قـدرة كبـيرة لتجـاوز أزمـة الإرهـاب إذ الحقيقـة المؤسـفة والمفزعـة للكثـير مـن دول العالم إن لم تكن جميعها هي أن الإسلام بصبغته الوهابية التفكيرية انتشـر في كـل أرجـاء العـالم ضـمن سـهو دولي عـن المراكـز الدعوية التفكيرية المستترة. ولا غرابة حينهـا أن يضـرب هـذا الإرهـاب في أوروبا وأمريكـا وروسـيا والصين وغيرها من دول العالم. ونماذج فولغوغراد الروسية وكومينـغ الصـينية قريبـة زمنيـا. أو مـا حـدث في الهنـد (هجمـات نـوفمبر 2008 في مومبـاي) وإسـبانيا (تفجـيرات مدريـد 2004) وفي الـولايات المتحـدة (هجمـات 11 سـبتمبر)، وجميعهـا هجومـات متزامنـة موجعـة تثبـت مـا يمكـن للإرهـاب الأسـود الأعمـى ان يفعل بالمدنيين وبالدول الأكثر تحصينا.

إن الصورة المسيئة للإسلام التي رسمها الإرهابيون المدعون له، يجب محوها تماما لأن المسلمين الحقيقيين هم أهل تسامح ومحبّة، وقد عاش منهم عدد كبير في شتى دول العالم فكانوا متآلفين مع غيرهم منسجمين في مجتمعاتهم فاعلين مبدعين مؤثّرين ومنهم عمالقة في العلم والفن والاقتصاد والاعلام. ولعلّ التصوف يغسل درن تلك اللوثات التكفيرية ويمسح الحزن من قلوبهم وقلوب الناس أجمعين لأن ما جرى للأيزيديين في العراق مثلا من ذبح ودفن جماعي للرجال وبيع للحرائر في الأسواق وتنكيل أمر محزن جدا ومريع. ولأن توجّه الإرهاب في مشاهد مصورة لجلب أطفال من كل أرجاء العالم خاصة العالم الغربي وتدريبهم وغسل أدمغتهم مبكرا أمر يهدد مستقبل الإنسانية ونقاء الطفولة البريئة. ويدق نواقيس الخطر للمسارعة في المعالجة المناسبة التي لا يمكنها في

أي حال أن تُغفل قيمة التصوف الإسلامي أو تتجاهل وتستغني عنه.

إن الدور المستقبلي للتصوف والطرق الصوفية في تونس (وفي العالم العربي والإسلامي والعالم ككل) دور مهم جدا، ولكن من أجل تفعيل ذلك لابد من مخطط ومن منظومة كاملة، لأن غياب التنسيق بين الجهات الرسمية والطرق الصوفية يجعل الجهد ضعيفا والناتج ناقصا. وهو ما يفترض وعيا جديدا لدى السلطات يسخّر من إمكانات الدولة لهذا المشروع. ووعيا جديدا لدى الصوفيين يمكّنهم من التعامل مع برامج الدولة وهياكلها بعيدا عن أي توظيف سياسي أو رغبة في الانزواء. لابد من تحيين حقيقي للوعي لدى الجانبين.

توصيات عامة واستراتيجيات ضرورية

هنالك قواعد منهجيّة وتوصيات مهمّة واستراتيجيات ضرورية لتفعيل المناعة الصوفية وحماية المجتمعات من خطر التكفير، وهذا يمكن تعميمه أو تخصيصه.

*إنشاء رابطة للطرق الصوفية كتنسيقية بين جميع الطرق، ودعوة كل الطرق لتوقيع ميثاق خاص بحقيقة التصوف وبواجب المتصوفة بعيدا عن التجاذب الطرقي والتفاضل المشيخي والصراع المنهجي (بين منهج التبرك ومنهج التربية مثلا)، ويكون التزاما بالعمل وخدمة المجتمع وتصحيح المفاهيم ضمن مجال التصوف الحيوي والهام.

*خلق تنسيقية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي، ويتم تعميمها عربيا ودوليا لأن الطرق الصوفية جميعا لديها وجود في أرجاء العالم عبر زوايا خاصة بها ومريدين منتسبين إليها. وهذا التنسيق من شأنه تفعيل حوارات مثمرة وملتقيات مهمة وتنسيق مباشر يكون له عميق النفع وعظيم الأثر. وأقترح تفعيل دور المجلس الأعلى للتصوف الإسلامي.

*إنشاء مجلس أعلى يكون استشاريا ويعدّ للملتقيات والندوات العلمية الخاصة بالتصوف وسماحة الدين الإسلامي والتعايش السلمي وحوار الأديان والثقافات. وفيما يخص تونس نقترح إنشاء "المجلس الزيتوني الأعلى".

*تكوين صندوق وطني لترميم الزوايا والعناية بها بالتعاون مع جمعيات المجتمع المدني، ويمكّن من إحياء دورها في الثقافة الروحية ونشر ثقافة السلم.

*تصحيح مفاهيم التصوف وإرجاعه إلى نقاء فكرته الأولى وحقيقة كونه لا يكون إلا بفقه وعلم. وأنه بالأساس تزكية وتربية وتهذيب انفس ونفع للمجتمع. وأنه لا يعني الانزواء والسقوط في أوهام تقمّص الجذب وفقدان العقل والقول بحلول الله في مخلوقيه وغير ذلك من الهرطقات، وهو ما ابتلي به عدد من المتصوفة المسلمين منذ القديم وازداد تفشي الداء في فترات الانحطاط الحضاري للأمة.

*تخصيص دروس في التصوف الحق وفي روح المحبة والرحمة في الإسلام وفي تصحيح فهم العقيدة والشريعة وإصلاح الذوق في جميع المساجد.

*إدراج مبادئ الذوق الإسلامي في التعليم بجميع مستوياته وفق تمشي بيداغوجي محكم. وذلك من خلال التركيز على آيات الرحمة والحب والجمال والتآخي والتسامح والرفق وكذلك الأحاديث المخصصة لذلك والقصص والمآثر المجسدة له. وهذا سيحصّن التلاميذ والطلبة من التكفير لان منهجه يركز على فهم مغلوط مسقط لآيات الجهاد حتى يعدم كل بارقة حب ورفق من الدين. وتثبت التقارير مدى توغّله في الجامعات والمعاهد وحتى المدارس ورياض الأطفال وعدد ضحاياه الذين سقطوا في شراك الإرهاب وتم تهريب عدد كبير منهم إلى بؤر النزاع خاصة في سوريا حيث قُتل عدد هام منهم.

*القيام بدورات تكوينية في مبادئ التصوف والتربية والسلوك للوعاظ وأئمة المساجد حتى يبثوا روح الرفق

ومعاني الذوق وروحانية التعايش والسلام والمحبة في الناس، إذ التصوف منهج وليست الطريقة فيه شرطا. ويجب اشتراط ذلك على كل من يريد الوعظ أو التصدّر للإمامة ومنع من يناقضه بسلطة القانون. فبطاقة تعريف الإسلام ضمن منهجه في بلاد المغرب العربي وفي تونس تحديدا مكتوب فيها: في عقد الأشعري وفقه مالك...وفي طريقة الجنيد السالك. وعليه يكون منهج التربية والسلوك واجبا إذ لا يمكن فصله عن المعتقد الأشعري والفقه المالكي الذين هما واجبان أيضا مع الاستئناس فقهيا بالمذهب الحنفي. أما من يحمل الفكر الوهابي التكفيري فكيف يكون واعظا أو إماما وماذا نتج عن أمثاله غير التكفير والتزوير، والتغرير والتفجير.

* دعم الجمعيات التي تدعم المنهج الزيتوني والمنهج الصوفي، والصرامة القانونية في وجه الجمعيات التي تبث

سم التكفير وتبيض الإرهاب. فالجمعيات مهمة جدا لقربها من المجتمع المدني وتأثيرها فيه. وبما أن المعركة في الحقيقة هي بين فكرة وفكرة، وروح وروح، ففكرة التصوف بكل معانيها أكبر من حصرها في زاوية أو طريقة. وتلك الروح أعظم من احتكارها على المتصوفة بل هي روح إنسانية عامة وليست إسلامية فقط. ويوم نعطي تلك الفكرة مجالها وتلك الروح فسحتها ونوفّر كل الأطر اللازمة لذلك وفق استراتيجيات دقيقة وتنظيم محكم فإنها كفيلة بهزم فكرة التطرف والتعصب وبإبعاد شر روح التكفير والكراهية.

تبقى الاستراتيجيات التفصيلية منوطة بالقرار التنفيذي وبالعمل الإجرائي والتأطير والهيكلة، وحينها يمكن رسم تفصيلات استراتيجية أراها عاجلة لأن خطر التكفير والإرهاب الذي ينبع منه خطر داهم وعالمي، وهنالك

علاجات كثيرة بأبعاد اقتصادية واجتماعية وفكرية لكن لا ينبغـي إغفـال البعـد العقائـدي لأنـه مرتكـز الفكـر الإرهابي، ولا ينبغي أبدا إهمال التصوف لأنه حين تغيب روح التصوف واللطف تطغى روح التطرّف والعنف.

خلاصة

لقد حاولنا في هذه الدراسة الموجزة أن نبيّن حقيقة التصوف وكونه الركن الثاني للدين الإسلامي بعد العقيدة والشريعة ويختص بالذوق والأخلاق وهو علم مكتمل الأركان له علماء طوّروه وقنّنوه أخذا من القرآن والسنة وسير الصحابة والسلف الصالح. وليس التصوف مجرد انعزال عن الناس ولئن وجد فيه الزهاد ولكنّه حركة إصلاحية تنويرية ثقافية تهدف إلى أخلقة المجتمع، كما أن له دور كبير في الدفاع عن الأمة والذود عن الأرض والعرض ضمن نماذج معلومة مشهورة. ثم خصصنا الكلام عن تونس وتاريخ التصوف بها وأهم الطرق الصوفية فيها وما كان قبل الثورة وبعدها وإشكالات

التهميش ثم انتشار الفكر الوهابي التكفيري ومعضلات الوضع الراهن مقترحين بعض التوصيات والاستراتيجيات الضرورية.

إن عدد الصوفيين في تونس كبير، والشعب التونسي بطبعه صوفي في حبّه للأولياء الصالحين وزيارته لهم وفي محبّته للنبي واحتفاله بمولده وفي طربه للأناشيد الصوفية وفي مزيج حضاري ثقافي يمكن للباحث ان يراه جليا في القيروان مثلا ليلة المولد النبوي ضمن نسيج عبقري جمع بين الأبعاد المختلفة من أنواع الطعام الخاص بتلك المناسبة إلى الألوان والأناشيد وإقبال الناس وما يكون في جامع عقبة من تلاوة وذكر وكلها أمور تثبت أن التونسي عامة صوفي وإن لم ينتم لطريقة صوفية بعينها وأن هذه الثقافة الإسلامية متجذرة فيه وسطيّة واعتدالا وتسامحا وقبولا بالآخر. ولابد من تفعيل هذه المناعة

وحسن إدارة قوتها الكبيرة. وإن ما قيل عن تونس يصح عن المغرب العربي ككل ويمكن أيضا أن يصح بنسب في المشرق العربي خاصة الجانب الاستراتيجي العربي الإسلامي والدولي إذ التصوف علاج للتطرف[9].

[9] سوسة في 21 أكتوبر 2014

أعددت الدراسة السابقة لمجلة العرب الدولية تحت عنوان: الطرق الصوفية في تونس ودورها المحتمل في التصدي للإرهاب والفكر التكفيري. وتم نشرها بتاريخ الثلاثاء 2014/11/11 لكن مع خطأين كبيرين الأول قولهم تحت العنوان: مازن الشريف يدعو حكام تونس لتجنيد المتصوفة لمحاربة المتشددين. وهو ما لم أقله يوما ولم أدع إليه مطلقا ولا تجد في الدراسة شيئا من ذلك ولا في كلامي من قبل، فلست أدعو للمحاربة المادية وتجنيد للصوفية ضد المتشددين، بل لمواجهة الفكر الظلامي عبر الفكر الصوفي النير والثقافة الهادفة الأصيلة والفرق بين الأمرين كبير. ولا أعرف لماذا تم اختيار مثل هذه الجملة الخطيرة !

أما الثاني فقولهم: (وأثبت المفكر الإسلامي التونسي مازن الشريف بالبراهين والقرائن ما نسبه بعض المستشرقين للزوايا الصوفية وأهل التصوف عامة من صفات الخمول والسلبية.) وهم يقصدون بالتأكيد: (وفنّد) وهو سهو تمنيت لو لم يكن. كما أني لا أرى داعيا لكلمة (الإسلام الراديكالي) ولا أحبذ هذا المصطلح.

6 العرب   الثلاثاء 2014/11/11 - السنة 37 العدد 9735

الانتخابات التونسية 26 أكتوبر - 23 نوفمبر 2014

«المتصوف حين تصقل مداركه يدخل في باب المواطنة، فـ«إنا نظرت إلى من يشاركك الحياة نظرة المساواة والمحبة مهما اختلفت عنه، فذاك دليل على المواطنة الكاملة ثم إن المتصوف يؤمن بفكرة الكمال، وفي تدرجه نحو الكمال ترسيخ لفكر الحداثة».

توفيق بن عامر
باحث تونسي

التصوف ترياق ضد الفكر التكفيري والإسلام الراديكالي

● نائب رئيس اتحاد الطرق الصوفية: التصوف علاج للتطرف ● مازن الشريف يدعو حكام تونس إلى تجنيد المتصوفة لمحاربة المتشددين

تواجه تونس، كغيرها من دول العالم، خطر الإرهاب وما يحمله من عقائد فاسدة ونهج تكفيري متعصّب ونمط دموي مدمّر، لا يحتاج إلى عمليات عسكرية لمحاربته بل إلى استراتيجيات خاصة تنبع من أعماق المجتمعات المتضرّرة وتاريخها. في هذا السياق يطرح الباحث الدكتور مازن الشريف العودة إلى الصوفية كإحدى استراتيجيات الحرب ضدّ الجماعات الإسلامية المتشدّدة والتكفيرية؛ فحين تكشف التقارير الدولية أن تونس هي أول مصدّر للإرهاب وأن عدد الشباب التونسي في تنظيم داعش بالآلاف، وحين يعلن العالم حربه على الإرهاب، فإن أولى الناس بتوفير مناعة وعلاج هم المتصوفة.

❏ تونس - أي دور يرتجى من الطرق الصوفية في التصدي للفكر التكفيري والإرهاب؟ وأي أثر للتصوف في تونس اليوم؟ وماذا على أهل التصوف بتونس - وكذا في المغرب العربي والعالم الإسلامي ككل - أن يفعلوا حتى يكونوا درعا لأوطانهم ويسهموا في إنقاذ شعوبهم والإنسانية من حمم بركان الحقد والكراهية والتطرف والإرهاب؛ شكلت هذه الأسئلة منطلق دراسة أعدّها مازن الشريف، نائب رئيس اتحاد الطرق الصوفية بتونس، حول "الطرق الصوفية في تونس ودورها المحتمل في التصدي للإرهاب والفكر التكفيري".

في بداية الدراسة قدّم الدكتور مازن الشريف، نائب رئيس اتحاد الطرق الصوفية بتونس، خلاصة جامعة عن حقيقة التصوف ومسار نشأته. ثم قدّم في الفصل الثاني لمحة تاريخية عن التصوف بتونس.

وأثبت المفكر الإسلامي التونسي مازن الشريف بالبراهين والقرائن، ما نسبه بعض المستشرقين للزوايا الصوفية وأهل التصوف عامة من صفات الخمول والسلبية، التي حاول المستعمر الفرنسي تبني بعضها، مثلما يحاول اليوم أنصار الإسلام الجهادي التكفيري إلصاقه بالصوفية.

هل أدى تغييب الصوفية إلى التشدد؟

•التصوف قبل الثورة: بعد المقدمة التاريخية عن التصوف في تونس، انتقلت الدراسة، إلى فصل "الصوفية قبل الثورة"، وهو يعتبر مقدّمة هامة للبحث في أسباب انتشار الفكر المتشدّد داخل المجتمع التونسي المعروف باعتداله. في هذا السياق تشير الدراسة إلى أنه من بين الأخطاء الكبيرة لدولة ما بعد الاستقلال إغفالها الجانب الصوفي الذي رأى بعض المثقفين أنه سبب للتخلف، وهو ما أدى إلى شبه تصحّر ديني تعمّق تدريجيا خاصة زمن النظام الذي قامت عليه الثورة.

ويستطرد الباحث قائلا، إنه رغم الإهمال ظل تيار الصوفية يلعب دورا اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا كبيرا، مع بعده عن السياسة ومعتركها ونأيه عن مسارات الإسلام السياسي الذي اتخذ موقفا عدائيا من التصوف ناسبا إليه التخاذل.

•التصوف بعد الثورة: بعد ثورة 14 يناير 2011، تنفس الصوفيون كغيرهم من التونسيين الصعداء وتفاءلوا خيرا، وقد تم السعي لإعادة تعمير وإصلاح عدد كبير من الزوايا المهجورة لتكون منارات لتعليم القرآن والفقه والتصوف كما كانت. لكن في غفلة تم افتتاح مدارس قرآنية جديدة كثيرة وجمعيات عديدة تروّج للفكر السلفي المتشدّد الذي يكفّر الصوفية.

◄ حين يعلن العالم حربه على الإرهاب، فإن أولى الناس بتوفير مناعة وعلاج هم المتصوفة

لم يكتف هؤلاء بهذا بل عمدوا إلى حرق وتخريب أكثر من مئة زاوية، وعلى رأسها زاوية سيدي أبي سعيد الباجي وزاوية السيدة المنوبية، الأمر الذي صدم جميع التونسيين.

وقد تأسس لأجل ذلك ولجمع كلمة المتصوفة بتونس وجميع الطرق الصوفية "اتحاد الطرق الصوفية" الذي كان له دور كبير في إيقاف حرق تلك الزوايا ودفع الدولة لإصلاحها رغم أن الإسلام السياسي كان يدعم التيارات السلفية



مازن الشريف:
أول خطوة لهزم الفكرة الإرهابية تكون بزرع الفكرة الصوفية

بأشكال عديدة.

تحولت تلك الفرحة بالثورة إلى غم وبلاء لعموم التونسيين وللصوفيين خاصة، عندما انبثق من رحم الفكر التكفيري تنظيمات إرهابية مقنعة بداية ثم انكشف قناعها وظهر تورطها في القتل والتدمير وحرق الجبال والغابات والزوايا والاغتيال السياسي على غرار تنظيم "أنصار الشريعة" وما تعلق به من خلايا عنقودية نائمة أو مفعّلة مثل "كتيبة عقبة بن نافع".

لم يكن المخطط الوهابي الذي دمّر من قبل الآثار النبوية وآثار الصحابة في مكة والمدينة وسائر الحجاز والعراق واليمن، لم يكن ليتوقف عند حد أو يرتدع لرادع، وهو الذي تم رفضه كليا وقطعيا من أهل افريقية وعلماء الزيتونة وحكام البلاد حينها.

وربما انتقم المتشددون بعد الثورة من تلك الرسائل الدامغة، والمشروع كان عامّا ولم يكن تونسيا فقط ففي ليبيا صعق كل صوفية العالم الإسلامي بتدمير جميع الزوايا والمقامات تقريبا بكامل التراب الليبي مثل زاوية سيدي الشعاب وزاوية سيدي الأندلسي والزاوية السنوسية وتم نبش قبور عدد كبير من الفقهاء والصالحين مثل سيدي أحمد زروق، بل تم اغتيال أعداد كبيرة من مشايخ التصوف في ليبيا. لم يصل الأمر في تونس إلى هذه الدرجة لكن كان يريد بلوغ ذلك وتجاوزه، ولم يكن حكّام البلاد حينها يعون خطورة الأمر أو ساهموا فيه بدرجات مختلفة لقرب الإسلام السياسي من التيارات السلفية ويجمعهم الجانب الجهادي وهو ما تم عبر كتابات وأيديولوجيات سيد قطب والمودودي.

لقد كانت السنوات التي أعقبت سقوط النظام، خاصة 2011 و2012 سنوات صعبة جدا على التونسيين وعلى المالكية والصوفية خاصة، فحتى المساجد تمت السيطرة على معظمها من أصحاب الفكر السلفي المتشدّد، فكفّروا الناس ونشروا الشك المذهبي والعقائدي وغرّروا بأعداد كبيرة من الشباب تحول جزء كبير منهم إلى إرهابيين ومقاتلين في تنظيمات دولية فكان منهم في جبهة النصرة، والعدد الأكبر في تنظيم الدولة الإسلامية "داعش".

في حين لبث آخرون في معسكرات درنة للتدريب في ليبيا أو في خلايا نائمة بتونس.

كيف يبدو الوضع الحالي؟

الوضع الحالي مُركّب ومريب: مركّب من حيث أنه يحمل احتمالات كثيرة تتعلق بالوضع الإقليمي والانتصارات السريعة والكبيرة لتنظيم داعش.

وما يجري في ليبيا من اقتتال ومستقبل تونس ومسار الانتخابات الحالية ومنظومة الحكم القادمة وتوجهاتها العامة والخاصة.

وهو مريب لأن مشاهد القتل وذبح الجنود مع التكبير هي مشاهد صادمة للناس عامة، فكيف بأهل التصوف وهم محبّون للسلم داعون إليه. لقد كان المأمول أن تقدم الثورات مزيدا من الحرية والمجال للجميع، لكنها انقلبت إلى حريق كبير استغلّه فاسدو العقيدة وهم أشد ضررا وخطرا من فاسدي الأخلاق الذين طغوا وبغوا قبل الثورة بل لعلهم اتحدوا معا بعدها.

لقد تدهورت الحالة العامة للدولة في جميع القطاعات: ثقافيا وبيئيا واقتصاديا وأمنيا وصحيا وتعليميا.

وهذا يؤثر أيضا على المجتمع ككل، ممّا يشجع على الجريمة والعنف، والنسب في ارتفاع كبير كمّي ونوعي، ويخلق مناخا مناسبا لتفريخ الفكر الإرهابي ونمو الخلايا الإرهابية النائمة، ولا بديل عن مشروع شامل يكون للتصوف دور مهم فيه لما له من أثر في الإصلاح الاجتماعي ولما يحمله المنتمون إليه من تأثيرات على مختلف القطاعات.

لكن أهم الإشكاليات هي التي نتجت عن اجتماع أخطاء ما قبل الثورة وأخطاء ما بعدها:

•التصحّر الديني مما أعطى مجالا لتأثير الأفكار المتعصبة والعقائد المنحرفة.

•الفوضى التي أدت إلى إضعاف الدولة، مما جعل التيارات السلفية تتغوّل وتتموّل وتنشر الكثير من الإرباكات في المجتمع.

•الحرب المعلنة التي شنها المتشددون على عقائد أهل تونس.

•غياب مشروع استراتيجي ناجع للمعالجة، وغياب الرؤية التكتيكية للتنفيذ، وقد حاول اتحاد الطرق الصوفية من خلال مشروع "ميثاق علماء تونس" الذي بنيتُ فكرته ووقع عليه عدد كبير من العلماء الزيتونيين أن توحد الصفوف حول المرجعية الزيتونية وحول حقيقة المذهب والعقيدة والتزكية ولكن دعم الدولة كان غائبا رغم الوعود.

• تم إقصاء عدد كبير جدا من الزيتونيين ومن الصوفية من المساجد وحل محلهم السلفيون أو أنصار الإسلام السياسي، فأصبحت المساجد مجالا لنشر التبديع والتشكيك والتضليل والشحن المذهبي والطائفي والسياسي، ومن بعضها صدرت دعوات للقتل ولما سمي بالجهاد في سوريا وصار بعضها الآخر أوكارا لغسل أدمغة الشباب وتفريخ الخلايا الإرهابية وحتى تخزين الأسلحة وهو ما تم اكتشافه بالدليل من قبل وزارة الداخلية. وهو وضع مستمر إلى اليوم رغم كل محاولات الحكومة.

وحين يغيب صوت الإصلاح والاعتدال والتزكية والتربية الروحية السليمة والعقيدة الصحيحة عن المساجد، فإن ذلك باب لكل أنواع الكوارث والنوازل.

حين تكشف التقارير الدولية أن تونس هي أول مصدّر للإرهاب وأن عدد الشباب التونسي في تنظيم داعش بالآلاف، وحين يعلن العالم حربه على الإرهاب، فإن أولى الناس بتوفير مناعة وعلاج هم المتصوّفة. لكن هذا الدور لا يكفي في غياب تنسيق مع الدولة ومأسسة للتصوف وإدماج له في المناهج بما يحمله من ترياق لسم التكفير ومن علاج لوباء التكفير ومن حلّ لمعضلة الفكر التكفيري وغيره من الأفكار المنحرفة.

ما هو الدور المحتمل للتصدي للإرهاب؟

ليس الإرهاب مجرّد تنظيمات حركية جهادية تستخدم التفخيخ والانتحاريين والعمليات المباغتة والإعدامات والخطف والابتزاز، بل الإرهاب نسيج كامل فيه البعد العقائدي الديني والبعد الفكري التكفيري المسموم والخبيث الذي يتقن فنّ غسل الأدمغة والتغرير بضعاف العقيدة أو المتحمّسين لأمجاد الخلافة. وله أبعاد ثقافية عبر نشر ثقافة الموت وكره الثقافة والفن والموسيقى والرسم فهي جميعا محرّمات.

وكذلك أبعاد اجتماعية في استغلال الحالات المهمّشة والمفقّرة أو الباحثة عن معنى لوجودها والفاقدة لمعنى اجتماعي.

وله أبعاد اقتصادية من تهريب وغسيل أموال وجريمة منظمة.. هذه الأبعاد جميعا تنطلق من الفكرة: تكفير سائر المسلمين وتبديع عقائدهم. وحين نعلم أن التصوف يتعلق بالذوق ومقام الإحسان وبعلوم التربية ومراتب السلوك، فإن أول خطوة لهزم الفكرة الإرهابية، التي تتخذ الإسلام قناعا وخداع، يكون بزرع الفكرة الصوفية.

إن التصوّف الإسلامي بما يحمله من تسامح، ومن عمق اجتماعي وقدرة على الاقتراب من الناس ومذاكرتهم واستقبال جميع فئاتهم ومحاورتهم حوار القلب للقلب، وعلى دمج الثقافي والأدبي والفني ووجود أبعاد موسيقية فيها علاجات للنفس، فلا يُخفى ما للموسيقى الراقية من أثر في تهذيب النفس وعلاجها، لذلك تجد التكفيريين يحرّمونها بالكليّة، في حين يفرد التصوف بابا لها ضمن السماع العرفاني.

والدور المستقبلي للتصوف والطرق الصوفية في تونس (وفي العالم العربي والإسلامي والعالم ككل) مهمّ جدا، ولكن من أجل تفعيل ذلك لابد من مخطط ومن منظومة كاملة، لأن غياب التنسيق بين الجهات الرسمية والطرق الصوفية يجعل الجهد ضعيفا والناتج ناقصا.

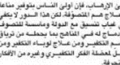
وهو ما يفترض وعيا جديدا لدى السلطات يسخّر من إمكانات الدولة لهذا المشروع، ووعيا جديدا لدى الصوفيين يمكّنهم من التعامل مع برامج الدولة وهياكلها بعيدا عن أي توظيف سياسي أو رغبة في الانزواء.

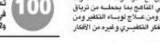
لابد من تحيين حقيقي للوعي لدى الجانبين، ولابد من تفعيل هذه المناعة وحسن إدارة قوتها الكبيرة.

وإن ما قيل عن تونس يصح عن المغرب العربي ككل ويمكن أيضا أن يصح بنسب في المشرق العربي خاصة الجانب الاستراتيجي العربي الإسلامي والدولي، إذ التصوف علاج للتطرف.

مقام الولي سيدي بوسعيد الباجي تعرض للحرق من قبل جماعة من المتشددين







100 ضريح صوفي تقريبا تعرض للحرق والتدمير في تونس بين 2011 و2012

أهم الطرق الصوفية في تونس

الطرق الصوفية في تونس كثيرة، منها طرق وافدة، وأخرى ناشئة محليا، ومنها طرق تفرعت عن طرق أخرى.

● الطريقة القادرية: نسبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني (470هـ 561-هـ).

● الطريقة الشاذلية: نسبة إلى مؤسسها أبي الحسن الشاذلي (593هـ - 656هـ) - (1197م1258-م).

● الطريقة التيجانية: تنتسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني. وكان أول من أدخلها لتونس سيدي إبراهيم الرياحي الفقيه العلامة (1180-1266هـ).

● الطريقة العروسية: نسبة إلى الولي الصالح أحمد بن عروس (778هـ - 868هـ). ولها امتداد بتونس وليبيا.

● الطريقة العيساوية: نسبة إلى الشيخ محمد بن عيسى المغربي الحسني دفين مكناس. ولهذه الطريقة منتسبون في كامل المغرب العربي.

● الطريقة المدنية: متفرعة عن العلاوية الشاذلية، تنتسب إلى الشيخ محمد المدني. وهي طريقة منتشرة جدا بفرعيها (الإسماعيلية ثم القاسمية المتفرعة عنها).

● الطريقة القاسمية: نسبة إلى الشيخ بلقاسم بلخيري، وهي اليوم وفق الإحصائيات أكثر طريقة منتشرة في تونس ولها أكثر من 400 زاوية وما يقارب 250 ألف مريد.

● هنالك طرق أخرى كالطريقة الرحمانية الخلوتية والبرهانية الدسوقية نسبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي.



❏ عدد كبير من المترشحين للرئاسة التونسية افتتحوا حملاتهم من مدينة القيروان، منارة الإسلام المعتدل التي حاول المتشددون تشويهها

ملحق

بين السلفية والتصوف: مناقشة مختزلة للمنهج

حين نفكك الفكر السلفي عامة، والجهادي بصفة أخص، نرى أن تركيبة العالم تنحصر في ثنائية واحدة: الخير المطلق والشر المطلق. وفي خانة الخير المطلق تكون الجماعة فقط، أي المنتمون لذلك الفكر والمنهج. أما الشر المطلق فهو كل العالم بجميع من فيه: المسلم الذي على غير المنهج السلفي، والصوفيون خاصة فهم مشركون، ومن كان على غير الدين فهم دار حرب، ويجوز حسب هذا الفهم لمن يمثلون الخير المطلق أن يقضوا على ممثلي الشر المطلق عبر تهديم ما يحبون وافتكاك ما يملكون وصولا للقتل والسفك. وما التنظيمات الإرهابية الموجودة اليوم والتي تدعي الدفاع عن الدين والكلام باسم الرب سوى مظهر تطبيقي لذلك.

أما الفكر الصوفي فيقوم على نموذج آخر هو صلب الروح الإسلامية، فالعالم كله خير إلا دوائر ضيقة تبقى مجالا للدعوة

والكلمة الطيبة ومنهج الحكمة والموعظة الحسنة. وليس هذا الكلام مجرد نظرية جميلة، بل هو أمر طبّقه الصوفية، فكانوا على منهج النبوة الحق، منهج المحبة والرحمة والرفق. ورافق ذلك جوانب أخرى من الموسيقى الراقية والسماع العرفاني والنشيد العذب والكلمة الجميلة، ويكون مولانا جلال الدين الرومي وابن الفارض والرواس نماذج لذلك، عبر السماع خانة، والقصائد الرائعة التي تغنى بها المنشدون.

إن دعم الذائقة الجمالية والرقي بالذوق لدى المريد وتنقية نفسه من الشوائب والشرور وتطهير قلبه من الأحقاد من أهم قيم التصوف ومساراته ضمن السلوك. أما التكفير فيقوم على إمراض الذوق وإعدام الذائقة الجمالية ليصل بمن يقع في حبائله إلى اللذة عبر القتل وقطع الرؤوس كما يظهر في مشاهد قتل الدواعش لضحاياهم. ويقوم أيضا على تكعير النفس وتفجير كوامن الشر العميقة وتلويث القلب بالحقد، ولذلك لا غرابة أن نرى مشاهد قطع الرؤوس أمام أطفال صغار وتراهم هادئين ينظرون بكل سكينة وربما ابتهج بعضهم

بـذلك وصـفّق لـه، ولعـل الصـورة الصـادمة الأخـيرة لأطفـال يشاهدون عملية قطع رأس المتطوع في الجيش الليبي في مدينة درنة مظهر آخر وتمظهر جديد لذلك الفكر الظلامي.

حـين ننظـر في التطبيقـات الـتي ينتهجهـا التكفيريـون لآيات القـرآن وأحكامـه، فـإنهم يتتبعـون بشـكل خـاص كـل آيـة فيهـا دعوة لجهاد أو قتال أو بيان ضلال المشركين ونفاق المنافقين، مع نسب كل آية عن فضيلة أو جهاد في الحق إليهم، ونسب كل آية عن ضلال وفجور إلى خصومهم. كما أنهم ينسبون كـل خطـاب خاطـب الله بـه نبيّـه او أصـحاب نبيّـه إلـيهم فيكونـون معنيـين بتطبيقـه، ونمـاذج ذلـك كثـيرة جـدا تجـدها متنـاثرة في أدبيـاتهم وفتـاوى شـيوخهم وخطـب وبيـانات الجماعات الإرهابية عقب كل عميلة قتل أو عملية إرهابية.

أما الصوفية فلهم نهج في فهم القرآن يجعلهم يتتبعون كل آية فيها كلام عن الرحمة الإلهية وأن النبي رحمة الله للعالمين وعن آيات تبـين الجمـال ووجوهـه ومشـاهده في الخلـق وعـن بـديع خلق الله وجماله وعن الحب والرأفة، في حين لا يكون النظر في

آيات الحث على الجهاد إلا بشكل حصري وهو المقصد الذي نزلت فيه، ويكون أشمل من الجهاد القتالي بل يتعلق أساسا بجهاد النفس وينحصر فيه ليكون المريد في سلوكه مجاهدا لنفسه لبلوغ مقامات الوصول. أما حين يتعلق بالجهاد القتالي فإن التاريخ شاهد على أن الصوفية كانوا يذودون عن الحرمات ويدافعون عن الأوطان حين يهاجمها الغزاة وليس أدل على ذلك من صلاح الدين الأيوبي الصوفي الذي تأثر بالشيخ عدي بن مسافر والشيخ عبد القادر الجيلاني وطريقته. أو الشيخ أبي الحسن الشاذلي وما كان في من أمره في معركة المنصورة، أو الشيخ عمر المختار السنوسي طريقة، والشيخ بوعمامة الجزائري شيخ الطريقة الشيخية، وكلاهما دافع عن وطنه ضد المستعمر الغاشم. وتجد التاريخ حافلا بما فعله المرابطون وأصحاب الزوايا في جهاد العدو حين يتم الاعتداء على الأرض وانتهاك الأعراض والأوطان. لكنهم لم يكونوا يفتعلون الحروب والقلاقل ويعيثون في الأرض فعل الخوارج والهمج.

إن المثير للغضب فعلا أن كل ذلك المخزون الصوفي العرفاني يظل حبيس متون الكتب، أو سجينا في بعض الزوايا والطرق، في حين ينتشر الفكر المتطرف سريان النار في حقول القمح، وتجده حاضرا في منابر المساجد وفي الإعلام وشبكة الانترنت، وفي آلاف الكتب التي يتم نشرها وتوزيعها مجانا أو بأسعار رمزية.

إن الواقع الراهن اليوم، وما شهده من سيطرة الجماعات المتطرفة على مناطق كثيرة وانتشارها الكبير في شكل مجموعات صغيرة أو خلايا في العالم كلّه، مشتركة جميعها في تبني التكفير والعقائد الفاسدة التي تدعي الانتساب للإسلام، هذا الواقع يفرض على الجميع ضرورة التوجّه ليس فقط للتصدي للظلامية والإرهاب بكل الطرق الممكنة، بل لتصحيح المفاهيم وتبيين الحقائق، وليس أقدر من التصوف الحق على فعل ذلك حين يتم نشر ما يحويه من روحانية عالية وذوقية راقية ومبادئ سامية هي لب المبادئ الإسلامية وجوهر مقاصد الشريعة.

لست في هذه الخلاصة القصيرة قادرا على تفصيل براهين ما ذكرت، وإن كنت فصلت جوانب منه في مقالات أخرى، لكني واثق أن قيام مراكز البحوث والدراسات، بالتنسيق مع المختصين في التصوف كعلم ومنهج بكل أبعاده الروحية والنفسية والاجتماعية سيكون أمرا ذا نفع كبير، لأن موجة التكفير الحالية لا يمكن التصدي لها من خارج المنظومة الفقهية والمقاصدية الإسلامية التي يعتبر التصوف ذروتها العرفانية والذوقية.

إن التآخي بين الناس والمحبة لهم في الله، ورؤية العالم كمشهد من الجمال الرباني، والسعي لبناء مجتمع تسوده القيم وتحكمه الحكمة وتغلب فيه الرأفة على القسوة والحب على الكراهية، هو ما دعا إليه أقطاب التصوف، الذي أسرهم العشق الإلهي وكانوا مشفقين على الناس محبين لهم، وكانوا رقم قتامة العالم وكثرة الأحقاد دعاة للسلام وهداة للحق، باحثين في أعماق مريديهم عن جوهر الخير الرحماني المودع فيهم، مطبقين هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال: الراحمون يرحمهم

الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"..وهذه الروح هي التي تبني ولا تهدم، وتقرّب الناس ولا تنفّرهم. وإنها لعمري روح إنسانية عامة عليها قامت الحضارات وتعارفت الشعوب وتقاربت الأمم[10].

سوسة

17:28:36 2015-06-06

[10] تمت ترجمة المقال ونشره في صحيفة الورقية والرقمية، ونص الترجمة في الصفحة الموالية.

Why Sufism is the antidote to extremism

Creed and sharia without sensitivity lead to corruption of creed and turning of sharia into abuse and cruelty.

2015/05/22

The Arab Weekly

Mazen Cherif

Why Sufism is the antidote to extremism

Viewpoint

Mazen Cherif

Tunis

Tunisia is often cited as the sole success story of the "Arab spring". Commentators point to Tunisia's free and fair democratic elections and largely peaceful transitions of power as clear indicators of success. On closer examination, however, the picture is not quite so rosy.

Tunisia is the single largest source of foreign fighters for the conflicts in Syria and Iraq, despite having a small population of just less than 11 million.

The reasons behind this frightening statistic are complex but the spread of an extreme brand of Islam hostile to Tunisia's moderate religious tradition is a major factor. Promoting the Tunisian, Sufi understanding of Islam is the best way for Muslims to fight back against the extremism and hatred that encourage terrorism.

Islam is a great religion that rests upon three fundamental bases, all of which must be observed for the religion to be practiced correctly and all of which are present in the Sufi interpretation.

First, a belief in the creed of Islam summed up briefly as belief in the existence and Oneness of God, the prophethood of Mohammad (PBUH) and the fact that he is the last of all Prophets and Messengers.

Second, sharia law: the set of orders, prohibitions and guidelines that Allah set forth as divine law.

Finally, sensitivity: this is the science of pure deeds, good behaviour and charity.

If any of the precepts of Islam are negated, then the religion is not being practiced correctly. Creed without sharia makes Islam inapplicable to everyday life. Sharia without creed is not exalted as divine law. Creed and sharia without sensitivity leads to a corruption of creed and the turning of sharia into abuse and cruelty.

Instead of being a tool to encourage good behaviour, sharia is turned into a tool of oppression. When sensitivity is perverted, the mercy of Islam is turned into something profane and abominable that nevertheless justifies itself with reference to the divine. If creed is grasped by the heart and sharia by the head, then sensitivity is achieved through a purification of the soul. The soul is exalted through the performance of good deeds, a refining of one's humanity and purification from the temptation to do wrong.

There are many examples in which a failure to properly observe the three bases of Islam has led to disaster and the terrorists of today fall into the same trap as their historic predecessors.

Terrorist groups like al-Qaeda, Islamic State (ISIS) and Ansar al-Sharia all follow a brand of Islam variously described as Salafi or Wahhabi. Wahhabism is an ideology that abhors life, a version of Islam in which the basis of sensitivity has become perverted and the religion has stopped being properly observed. Sensitivity is the science of good deeds, promoting love and mercy, but in the hands of the Wahhabis life is turned into caustic hatred. Once Wahhabi ideas have taken root in someone's mind there is nothing strange or surprising about that person blowing himself up or cutting off the head of his fellow man while invoking the name of God.

All aspects of Islamist terrorism spring from one common idea: the apostatising of the majority of Muslims and their beliefs, something that is only conscionable to someone lacking in sensitivity. Sufism is concerned with sensitivity, the performing of charity and the teaching of correct behaviour and manners. The first step in defeating Islamist terrorist thought, therefore, is promoting Sufi thought.

> **Tunisia is the single largest source of foreign fighters for the conflicts in Syria and Iraq**

Luckily for Tunisians, Sufism is deeply rooted in their history, culture and understanding of their faith. The importance of Sufis in Tunisian history is clear to anybody looking at a map. Many towns and places were named after prominent Sufis such as the city of Sidi Bouzid, named after the virtuous saint Bouzid Esherif; or the city of Sidi Bou Said, named after Abu Sa'eed al-Beji who chose Jebel Al-Manar as a corner for worship and to watch the sea to protect Tunisia from pirates and invaders.

Unfortunately, Sufism and religion in general were neglected after independence in Tunisia and a kind of spiritual desertification took place. After the jasmine revolution of 2011, these conditions were exploited by Wahhabi extremists who consider Sufism, along with almost everything else, apostasy. Hundreds of Sufi shrines were burned. The Islamist authorities at the time shared the jihadist aspect of Wahhabism advocated in the writings and ideologies of both Islamist thinkers Sayyid Qutb and Mawdudi and so looked the other way.

With religious moderates now in power, the time has come for the Tunisian state to strike a blow against extremism by supporting Sufism in Tunisia and the wider Muslim world.

The tolerance of Sufism, its social depth in Tunisia, its ability to draw close to people and the way it combines the cultural with its literary, artistic and musical dimensions, Islamic Sufism contains psycho-therapies to extremism. Sufism is an antidote to the culture of death promoted by extremists. The terrorist doctrine theorises for hostility and hatred in the world, whereas the ideal of Sufism is based on love, harmony and peaceful cohabitation.

In order to save Islam from the disgraceful reputation extremists are giving it, we must act quickly. What is said about Tunisia holds true for the Maghreb as a whole; and it can be true further afield. Sufism is a cure for extremism. That is why, when extremists take over, as in Libya, Sufi imams are among the first to be killed.

> **When extremists take over, as in Libya, Sufi imams are among the first to be killed**

Mazen Cherif is a Tunisian security analyst and expert on Sufi thought. His analysis was translated and adapted from the Arabic.

TUNIS – Tunisia is often cited as the sole success story of the “Arab spring”. Commentators point to Tunisia’s free and fair democratic elections and largely peaceful transitions of power as clear indicators of success. On closer examination, however, the picture is not quite so rosy.

Tunisia is the single largest source of foreign fighters for the conflicts in Syria and Iraq, despite having a small population of just less than 11 million.

The reasons behind this frightening statistic are complex but the spread of an extreme brand of Islam hostile to Tunisia’s moderate religious tradition is a major factor. Promoting the Tunisian, Sufi understanding of Islam is the best way for Muslims to fight back against the extremism and hatred that encourage terrorism.

Islam is a great religion that rests upon three fundamental bases, all of which must be observed for the religion to be practiced correctly and all of which are present in the Sufi interpretation.

First, a belief in the creed of Islam summed up briefly as belief in the existence and Oneness of God, the prophethood of Mohammad (PBUH) and the fact that he is the last of all Prophets and Messengers.

Second, sharia law: the set of orders, prohibitions and guidelines that Allah set forth as divine law.

Finally, sensitivity: this is the science of pure deeds, good behaviour and charity.

If any of the precepts of Islam are negated, then the religion is not being practiced correctly. Creed without sharia makes Islam inapplicable to everyday life. Sharia without

creed is not exalted as divine law. Creed and sharia without sensitivity leads to a corruption of creed and the turning of sharia into abuse and cruelty.

Instead of being a tool to encourage good behaviour, sharia is turned into a tool of oppression. When sensitivity is perverted, the mercy of Islam is turned into something profane and abominable that nevertheless justifies itself with reference to the divine. If creed is grasped by the heart and sharia by the head, then sensitivity is achieved through a purification of the soul. The soul is exalted through the performance of good deeds, a refining of one's humanity and purification from the

temptation to do wrong.

There are many examples in which a failure to properly observe the three bases of Islam has

led to disaster and the terrorists of today fall into the same trap as their historic predecessors.

Terrorist groups like al-Qaeda, Islamic State (ISIS) and Ansar al- Sharia all follow a brand of Islam variously described as Salafi or Wahhabi. Wahhabism is an ideology that abhors life, a version of Islam in which the basis of sensitivity has become perverted and the religion has stopped being properly observed. Sensitivity is the science of good deeds, promoting love and mercy, but in the hands of the Wahhabis life is turned into caustic hatred. Once Wahhabi ideas have taken root in someone's mind there is nothing strange or surprising about that person blowing himself up or cutting off the head of his fellow man while invoking the name of God.

All aspects of Islamist terrorism spring from one common idea: the apostatising of the majority of Muslims and their beliefs, something that is only conscionable to someone lacking in sensitivity. Sufism is concerned with sensitivity, the performing of charity and the teaching of correct behaviour and manners. The first step in defeating Islamist terrorist thought, therefore, is promoting Sufi thought.

Luckily for Tunisians, Sufism is deeply rooted in their history, culture and understanding of their faith. The importance of Sufis in Tunisian history is clear to anybody looking at a map. Many towns and places were named after prominent Sufis such as the city of Sidi Bouzid, named after the virtuous saint Bouzid Esherif; or the city of Sidi Bou Said, named after Abu Sa'eed al-Beji who chose Jebel Al-Manar as a corner for worship and to watch

the sea to protect Tunisia from pirates and invaders.

Unfortunately, Sufism and religion in general were neglected after independence in Tunisia and a kind of spiritual desertification took place. After the jasmine revolution of 2011, these conditions were exploited by Wahhabi extremists who consider Sufism, along with almost everything else, apostasy. Hundreds of Sufi shrines were burned. The Islamist authorities at the time shared the jihadist aspect of Wahhabism advocated in the writings and ideologies of both Islamist thinkers Sayyid Qutb and Mawdudi and so looked the other way.

With religious moderates now in power, the time has come for the Tunisian state to strike a blow against extremism by supporting Sufism in Tunisia and the wider Muslim world.

The tolerance of Sufism, its social depth in Tunisia, its ability to draw close to people and the way it combines the cultural with its literary, artistic and musical dimensions, Islamic Sufism contains psycho-therapies to extremism. Sufism is an antidote to the culture of death promoted by extremists. The terrorist doctrine theorises for hostility and hatred in the world, whereas the ideal of Sufism is based on love, harmony and peaceful cohabitation.
In order to save Islam from the disgraceful reputation extremists are giving it, we must act quickly. What is said about Tunisia holds true for the Maghreb as a whole; and it can be true further afield. Sufism is a cure for extremism. That is why, when extremists take over, as in Libya, Sufi imams are among the first to be killed.[11]

11

التطرف: الخطر الداهم على الإنسانية

ليس التطرف مجرد فكرة عرقية أو دينية متعصبة، أو مجرد نزعة للاعتقاد المرضي الذي يريد أن يكون على حساب بقية المعتقدات بل مع الرغبة في نفيها ونسفها من مجرد النقاش إلى الإعدام الوجودي والقتل والإرهاب، بل هو يتجاوز ذلك إلى خطر قديم كم عانت البشرية من ويلاته، وخطره اليوم أكبر بحكم اتساع الإمكانات وتحول العالم إلى قرية صغيرة عبر ما وفرته التطورات التواصلية والاتصالية والقدرة على السفر والتحرك افتراضيا وماديا.

Mazen Cherif is a Tunisian security analyst and expert on Sufi thought. His analysis was translated and adapted from the Arabic.

إن الوعي البشري يمر في أحيان كثيرة باحتقان مفهومي واختناق إدراكي يصيب بعض الأفراد والجماعات ليتحول إلى تعصّب وتطرّف ومن ثمة إلى قتل فردي أو جماعي، وفي تاريخ العالم الكثير من المجازر التي سببها التطرف العرقي أو الديني أو التعطش الدموي للحكم بمبررات طائفية أو دينية، مثل ما قام به الأمويون إبان حكمهم من مذابح بلغت حتى حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم (قتل الإمام الحسين وأهله بكربلاء)، ثم ما قام به الخليفة العباسي السفاح حين أسقط دمشق وانتزعها من الأمويين وقتل أكثر من سبعين ألفا من أهلها، وما قام به عبد الرحمان الداخل الأموي حين حكم الأندلس وذبح في يوم واحد أكثر من سبعين ألفا من الجند التابعين للعباسيين، ومذابح الموركسيين المسلمين على أيدي محاكم التفتيش إبان سقوط الأندلس، أو ما فعله جنود هولاكو وجنكيز خان في خراسان وبغداد وغيرها، وما قامت به القوات الصليبية حين احتلت القدس وقتلت الكثير من أهلها، وكذلك مجزرة القديس برطلماي St.

Bartholomew's Day Massacre في 24 من أوت سنة 1572، والتي راح ضحيتها قرابة الستين ألف من البروتستان على أيدي المتعصبين للكنيسة الكاثوليكية، بأوامر مباشرة من تشارلز التاسع وأمه ومباركة من الكنيسة نفسها. ثم مذابح سيفو التي راح ضحيتها مئات الآلاف من الكلدان والسريان والآشوريين والأرمن وجميعهم من المسيحيين على أيدي قوات نظامية تابعة للدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى بداية من سنة 1915 بأوامر من حكمة باشا وزير الحرب، والمشاهد موجعة كما أوردتها بعض الشهادات مثل شهادة رافايل دي نوغاليس ميندير[12]. وبعدها في تسعينات

[12] رافايل دي نوغاليس ميندير وهو ضابط فنزويلي كان يحارب بإمرة العثمانيين كيف أن المجازر كان قد خطط لها مسبقا من قبل السلطات العثمانية فلدى وصوله إلى سعرت يروي دي نوغاليس ما شاهده:"كان بالإمكان مشاهدة آثار المجازر في التلال المطلة على الطريق الرئيسي، والتي غطت سفوحها الكئيبة آلاف الجثث شبه العارية والمدمية، ملقية في كوم أو متعانقة خلال شهقات الموت الأخيرة. تمكنت مع رجالي من دخول سعرت بصعوبة لتراكم الجثث التي اعترضت سبيلنا في الطريق. وهناك شاهدنا كيف قام بعض سكانها بمرافقة

نفس القرن تكون مذابح سرايبفو على أيدي المتعصبين الصرب ضد المسلمين، ثم مجازر الفلسطينيين على أيدي عصابات الهاغانا الصهيونية أثناء احتلال فلسطين مثل مذبحة دير ياسين بتاريخ 9 أفريل 1948، ومجزرة صبرة وشاتيلا[13]

الشرطة المحلية بسلب بيوت المسيحيين. لدى وصولنا إلى السراي التقينا بالحكام المحليين الذين كانوا مجتمعين بجودت باشا ومن حديثهم استنتجت أن المجزرة تم التخطيط لها البارحة من قبل جودت باشا شخصيا".

[13]مذبحة صبرا وشاتيلا هي مذبحة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في 16 أيلول 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام على يد المجموعات الانعزالية اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني وجيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي. عدد القتلى في المذبحة لا يعرف بوضوح وتتراوح التقديرات بين 750 و3500 قتيل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين ولكن من بينهم لبنانيين أيضا. في ذلك الوقت كان المخيم مطوق بالكامل من قبل جيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي الذي كان تحت قيادة ارئيل شارون ورفائيل ايتان أما قيادة القوات المحتلة فكانت تحت إمرة المدعو إيلي حبيقة المسؤول الكتائبي المتنفذ. وقامت القوات الانعزالية بالدخول إلى المخيم وبدأت بدم بارد تنفيذ المجزرة التي هزت العالم ودونما رحمة وبعيدا عن الإعلام وكانت قد استخدمت الأسلحة البيضاء

16 سبتمبر 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام على يد المجموعات الانعزالية اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني وجيش لبنان الجنوبي والجيش الإسرائيلي والمشاهد كثيرة مؤلمة مفزعة، تبين إلى أي حد يمكن للتعصب أن يفعل وللتطرف أن يسبب من دم وخراب، أليست الحرب العالمية الثانية نتيجة لبذرة تعصب جنوني لدى هتلر حول الجنس الراقي، ووجدت من يساعدها من نازيين وفاشيين ومجانين حرب، وذات الأمر يتكرر اليوم بأشكال كثيرة، مرة في قتل أمريكي متعصب لطالب سوري وزوجته الطالبة وأختها الفلسطينيتين، وآخرها إطلاق متعصب آخر النار في كنيسة للسود وقتل تسعة منهم، او جرائم بعض اليمينيين المتطرفين والنازيين الجدد في أوروبا وراح ضحيتها عدد من المسلمين خاصة، وصولا لما تقوم به داعش من قتل وذبح وتنكيل وتم فيها قتل صحفي ياباني (بوذي او على ديانة الشينتو المنتشرة في اليابان) وأكثر من

وغيرها في عمليات التصفية لسكان المخيم العزل وكانت مهمة الجيش الإسرائيلي محاصرة المخيم وإنارته ليلا بالقنابل المضيئة.

عشرين مصري قبطي في شواطئ ليبيا والطيار الأردني معاذ الكسابة المسلم السني حرقا في سوريا وعدد كبير من المجازر بحق الأيزيديين المسيحيين في العراق، مما يبين أن التطرف والتعصب حين يتحول إلى تطبيق لا يكون حكرا على دين معين بل يستهدف الجميع ويمكن أن يصدر من الجميع أيضا متى توفرت الكيمياء المناسبة في النفس والمجتمع وفي لعبة يديرها من يستثمر في ذلك، وهو ليس محصورا في مكان أيضا، بل أراه خطرا عالميا تمهظر في أرجاء العالم كله من العمليات الإرهابية بمدريد ودلهي، وفولغوغراد (روسيا) وكومينغ (الصين)، إلى حادثة شارلي إيبدو ثم حادثة باردو بتونس وقبلها عمليات مدريد وما جرى ويجري في بروما من مجازر ضد المسلمين على أيدي المتعصبين من البوذيين.

هذا التطرف الدموي الذي يمزق العالم اليوم كما مزقه من قبل، يجد مناخا مناسبا في دعوات الانغلاق والأفكار الظلامية التي تبدأ من مسجد أو كنيسة أو دار عبادة أو مكان سري، ويمكن أن يضر حتى بمعتنقيه، ولا تزال الذاكرة الأمريكية

تحتفظ بصور إبادة الهنود الحمر، والمذبحة التي قام بها بعض متطرفي المورمون في القرن التاسع عشر وقتلوا أكثر من ألف وثلاثمائة كاثوليكي بين طفل وامرأة ورجل، ثم جنون جيم جونس ومعبده وإجباره لأتباعه على الانتحار بالسم أو قتلهم تلبية لتعصبه المرضي الذي تم التغاضي عنه مراعاة لفهم حقوقي عقيم، ثم كانت الكارثة بتاريخ 18 نوفمبر 1978، في فاجعة صدمت أمريكا والعالم ورسمت ملامح الحيرة والذهول، حيث قام تسعمائة إنسان بالانتحار الجماعي في مزرعة "جونز تاون Jonestown " التي كانت مركزا لطائفة دينية غريبة الأطوار عرفت باسم "كنيسة الشّعب Temple Peoples " وهذه قد تكون أكبر عملية انتحار جماعية في التاريخ، بسبب التغاضي عن خطر التطرف والتعصب والعقائد المريضة الفاسدة بحجة الحق الإنساني وهي حجة باطلة لأن الحق محكوم بالواجب وما يمثل خطرا يجب ردعه فورا قبل تحوله إلى كارثة وهذا ما عشناه بعد ما سمي بالربيع العربي ففي تونس مثلا تم التغاضي عن التكفيريين

وتوفير غطاء سياسي وحقوقي وجمعياتي لهم بل وتشجيعهم ومنحهم العفو التشريعي ليصبح خطرهم عالميا فهم يشكلون النسبة الأكبر من عدد الدواعش اليوم وأعلى نسبة في القيادة والانتحاريين وخطرهم القادم على بلادهم الأم وعلى العالم العربي والمجتمع الدولي سيكون أكبر إن استمر العالم في الصمت أمام لعبة دمار الدول العربية وتخريبها ونهب ثرواتها لينتقل بعد ذلك إلى خراب العالم كله والسعي للقتل في كل مكان وليس هزم المخابرات الفرنسية في شارلي إيبدو وموقعها الحساس في قلب باريس أو اختراق شبكات قناة TV5 وقرصنة مواقعها ومنع بثها سوى مشهد يبين مدى الدعم التي تحظى به مجموعات مثل داعش ومدى خطورتها وخطورة ونفاذ من يقوم بمساندتها.

التطرف خطر كبير يحتاج مشروعا بشريا شاملا لصده والتغلب عليه أو الحد منه، صحيح أنه مرض بشري موغل في القدم والدموية، وأنه ليس حكرا على ملة معينة أو أهل ديانة بذاتها بل هو مرض اجتماعي نفسي ولوثات في المعتقد وكل ديانة

مهما كانت ليست سوى وسيلة منحتها السماء أو ابتدعها الانسان – في المجمل – لإيجاد صلات روحية ومنح العالم لونا وكنها آخر.

إن مواجهة التطرف عبر العلم والثقافة والعقائد النيرة وقيم التسامح والتعايش، وقيام مشروع دولي من أجل ذلك وعناية كل دولة من جانبها وخاصة ما تبقى من الدول العربية التي لم يدمرها الخريف العربي، كل ذلك أمر واجب وأكيد، فلا بديل عن سلاح الثقافة النيرة في مواجهة ثقافات الموت والظلام والتعصب الأعمى.

سوسة

14:56:54 2015-06-21

ميثاق علماء تونس

توضيح: إن ما حدث بعد الثورة التونسية شكّل تغييرا محوريا في مسائل كثيرة منها الجانب العقائدي، فانتشار المعتقد الوهابي الذي يبدّع سواه ويكفّر المعتقد الأشعري والتصوف، ولم يقتصر الأمر على الجانب النظري بل تحول إلى ممارسات منها حرق الزوايا والمقامات ومنها الاستيلاء بالقوة على المساجد وإنزال الأئمة الذين هم على المنهج الزيتوني والمعتقد الأشعري ومحاربة أهل التصوف بمختلف الأشكال.

أمام وضع مثل هذا كنت ممن يذودون عن المنهج الزيتوني ومن أوائل من ظهروا في الإعلام وجالوا في مساجد تونس لتوضيح الحقائق وكشف الشبهات والرد على المزاعم، بل كنت أول من ناظر أحد زعماء هذا الفكر في الإعلام التلفزي الرسمي... فكرة الميثاق انبنت من جانبي الاستراتيجي والعسكري مع مزيج من الفكر الاسلامي، فقلت أن الوضع الراهن يفرض

تدوين المتعارف عليه تواترا، ضمن ميثاق يجمع الكلمة ويوقع عليه العلماء الزيتونيون ومن كان من نهجهم ومن نصرهم من علماء العالم الإسلامي ومرجعياته كالأزهر وجامع القرويين وعلماء حضرموت اليمن. وكان مع نفس الفكرة مجموعة أخرى من المواثيق هي ميثاق السلم الأهلي، وميثاق التصوف، وميثاق علماء الأمة، كما كان الهدف أن تقوم كل دولة عربية ومسلمة بميثاق خاص بها يدون ما تناقله من قبل بشكل تواتري ليتحول إلى قانون واضح يحتوي المرجعية والمذهب الفقهي والمعتقد وجانب التزكية، مع إمكانية التطوير.

بعد تدارس طويل تجاوز السنة وحدثت بالميثاق صديقي الشيخ المهندس محمد اللجمي الذي أعلن عن مساندته ورغبته في دعم هذا المشروع، وبدأنا في صياغته سوية ثم انضم إلينا الشيخ فوزي بنتيشة، وبعد إتمام الصياغة الأولى تمت مراجعة المحتوى من طرف الشيخ الدكتور والقاضي محمد الكامل سعادة والشيخ الحبيب القلال والشيخ فريد الباجي، ثم تم عرض النسخة الختامية على العلامة والمفتي السابق للجمهورية

التونسية الشيخ كمال الدين جعيط الذي أعجب به كثيرا وفرح به وأوصى بدعمه وكان ممن أوصاهم الشيخ عثمان بطيخ المفتي السابق ووزير الشؤون الدينية الحالي. وبعد وفاة الشيخ جعيط رحمه الله التقيت بالشيخ بطيخ الذي وقّع على الميثاق بدوره، وبعدها تم بث حلقتين تلفزيونيتين حول شرح فكرة الميثاق والغاية منها الأولى على قناة الجنوبية ورافقني فيها الشيخ فوزي بنتيشة مع مداخلة هاتفية من الشيخ بطيخ وتم تبيان القيمة الكبيرة للميثاق[14]، والثانية في برنامج ضمن قناة الحوار التونسي قدمها محمد صالح الحدري وشرحت فيها الأمر بدقة[15]. وفي نفس الوقت كان التواقيع تتالى على الميثاق

[14] عنوان الحلقة على يويتوب: حلقة خاصة حول ميثاق علماء تونس على قناة الجنوبية.

رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=h0UiSxr8rxE

[15] عنوان الحلقة على يويتوب: حوار حول ميثاق علماء تونس.

رابط الحلقة:

بمجهود كبير للشيخين محمد اللجمي وفوزي بنتيشة ولنخبة من الداعمين من بينهم الشيخ المحقق نزار حمادي والصديق المحامي عماد بن كريديس حتى بلغت أكثر من ستين توقيعا من علماء زواتنة وعلماء على مشربهم، ومن علماء من العالم الإسلامي. وقد بلغتني رسالة من بعض علماء ليبيا ثم نسجوا على منوال ميثاق علماء تونس فدونوا ميثاق علماء وقرّاء ليبيا. ورغم انعدام الدعم الرسمي من الدولة إلى ساعة كتابة هذه الأسطر، فإننا بعون الله سوف نكمل المسيرة رفقة من يؤمنون بقيمة حماية المعتقد والشريعة ومنهج التزكية والمرجعية الدينية للبلاد، وقد ابتكرت ضمن هذا الفهم مصطلح الأمن العقائدي الذي يعني ان اختلال العقيدة في بلد ما يؤدي بالضرورة إلى الكوارث وعليه لابد من الحفاظ على الأمن العقائدي، وعندما أسسنا المركز التونسي لدراسات الأمن

---

https://www.youtube.com/watch?v=CkP45oGOhU8

الشامل كان ضمنه قسم خاص بالأمن العقائدي يرأسه الشيخ فريد الباجي...

وإن ابتكار النظريات –مثل نظريتي التنظير التكفير التفجير – أو المصلحات – مثل مصطلح الأمن العقائدي وسواه – أو المواثيق – كميثاق علماء تونس وميثاق السلم الأهلي – كلها مما يتوجب تطويره والعمل عليه ممن لديهم المقدرة في علم المصطلح والمفهوم وعلم الاستراتيجيا والاستشراف.

ختاما: ليس لي من قصد من هذا الكلام سوى تبيان الحقيقة وإعطاء كل ذي حق حقه، وأنا متمسك بحقي الفكري في كل فكرة أبتكرها فالفكرة ملك لصاحبها ثم تأتي الصياغات وطرائق الإخراج والتنفيذ وهي تابعة للفكرة الأصلية وخادمة لها. وقد لقي الميثاق شهرة واسعة، ولكن البعض يكره أن يقال أني صاحب فكرته، ويريده على شيء يليق بهوى نفسه أو مرض قلبه، ويرى أن الأولى نسبته للشيخ جعيط مثلا وبذلك سعى بعضهم بل تم نشره في جريدة المغرب على أنه من ابتكاره وتأليفه، كما تجد في الصورة المرافقة، ولما توفّي الشيخ

حاول البعض الاستحواذ على الميثاق خدمة لأغراض سياسية ومآرب أخرى فكنت لهم سدّا وحُلت دونهم وذلك، أو تراهم يمتعضون إذا ذكرت نسبة الفكرة لي، مما هو موثق مدون عندي، فليلزم كل منهم غرزه وليعلم أن الله يفتح على قلب من يشاء، وليس له ولا لسواه من الأمر شيء، وإنّا وإن كنّا فعلنا ما فعلناه قناعة وحبا وطاعة، فنحن لا نغفل عن حقنا ساعة.

والمقصد الثاني بيان مقدار الحلول التي يمكن أن نقدمها والتي يجب دعمها، وكل مبادرة جادة يجب العناية بها، ولابد من إيلاء المفكرين والمثقفين والمبدعين قيمتهم حتى تخرج البلاد من حالة التردي...

أما ما يبقى لنقوله فشكر لصديقيّ وأخويّ الشيخ محمد اللجمي والشيخ فوزي بنتيشة على كل الجهد الذي بذلاه

لتجسيد فكرة الميثاق ومشاركتي في تدوينه وتحقيقه على أرض الواقع، وللمجهود الكبير في جمع التواقيع من علماء الزيتونة ومن كان على نهجهم رفقة عدد من الداعمين والمساندين الذين اختاروا نهج سلفهم الصالح ومعتقد أهل بلادهم ولم يختاروا باطلا فالزيتونة مدرسة عظيمة من أهم وأكبر مدارس الأمة الإسلامية أثّرت وأثْرت في أبواب الفقه والعقيدة والتزكية والمنطق والمقاصد ونشر اللغة العربية وغير ذلك كثير. وهذا ما يجب أن نستعيده وأن نخرجه من التهميش والتغييب إلى الحضور الفعلي والفعل المؤثّر أو يكون خراب وفساد كبير ويكون للإرهاب مجال أوسع لأنه مبتدأه خلل في العقيدة ومرض في الفهم الديني وفراغ مفتعل جعل الشباب في قحط ديني وتصحّر عقائدي وجهل بحقيقة الإسلام وبالمرجعية الزيتونية المعتدلة، وهو عام على كل أمة الإسلام إلا ما رحم ربي لأن التجهيل والتصحير كان مشروعا متعمّدا دام عقودا ونحن اليوم نحصد بعضا من نتائجه...

ورغم ذلك فإننا مؤمنون بقيمة ما نفعل وأحقيته، وسوف نستمر عليه بعون الله، وسنصدر كتابا أسميته "الروض المونس في شرح ميثاق علماء تونس" يضم شروحات مفصلة لنخبة من علماء تونس لأن الميثاق كان مختزلا جدا وفي الاختزال حكمة، وعسى يوفق الله في تدوين ميثاق أهل التصوف وميثاق علماء الأمة.

وإن إيراد نص الميثاق هنا فيه بيان صحة ما أوردته في بداية هذا الكتاب في شأن العقيدة والشريعة والتصوف والعلاقة القائمة بين هذه الأعمدة الثلاثة الكبرى للدين الإسلامي. والأمر شديد الظهور في المدرسة الزيتونية التونسية وهي مرجعية أهل تونس وهم أهل اتباع وسند متصل لا أهل بدعة وضلال كما ادعى الأفاقون.

وإن توثيق هوية البلاد الدينية للأجيال القادمة مسألة استراتيجية على غاية القيمة، حتى لا يتم النسيان ولا يتم استبدال ذلك ونزعه بين معهّر سالخ ومكفّر ماسخ.

وفّق الله كل من سعى لخير هذه البلاد وخير هذه الأمة وسط عواصف الخريف العربي المدمرة التي تريد مسخ كل شيء واجتثاثه بقوة المال والإرهاب والتآمر[16].

سوسة الاثنين السادس من رمضان 1436
2015-06-22 20:26:39

[16] صفحة الميثاق على فيسبوك: اسم الصفحة: ميثاق علماء تونس.
رابط الصفحة: https://www.facebook.com/MythaqlmaTwns

ميثاق علماء تونس

الحمد للّه الذي أعزّنا بالإسلام، وأكرمنا بالإيمان، ورحمنا بسيّدنا ومولانا محمّد عليه الصّلاة والسّلام، فهدانا به من الضّلالة، وجمعنا به من الشّتات، وألّف ببركته بين قلوبنا، فأصبحنا إخوة متحابّين في اللّه.

وأفضل وأتمّ الصّلاة والسّلام، على سيدنا ومولانا محمّد سيّد الأنام، وعلى آله الكرام، وأصحابه العظام، وورّاثه الفخام، ما تعاقبت اللّيالي والأيّام.

أمّا بعد، فنحن علماء الزّيتونة وأتباعهم وتلاميذهم ومن كان على منهجهم، ونظرا لما بدأت تشهده بلادنا من حملات تشويه وتغيير للهويّة، ومحاولات لفصل التونسيّ عن ماضيه وأمجاده وهويّته الأصيلة وعقيدته السّمحة، فإنّنا ندعو لهذه الوثيقة ونقرّ ونبيّن ما يلي:

البنـد الأوّل

التّونسيـون أهـل اتّبـاع لا ابتـداع منـذ الفتـح الإسـلاميّ

إنَّ تونسَ وأهلَها كانت منذ الفتح الإسلامي، رائدة في الِاتباع والِانضواء تحت رايةِ جماعةِ المسلمين، متحقِّقةً في ذلك بقولِه تعالى:"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"[17]. ومنتهيةً عن الخروجِ عن جماعةِ المسلمينَ، المنهيّ عنه في قولِه عزَّ وجلّ:"وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"[18]. وهي بِمُوافَقَتِها لِما انْتهجَهُ السَّوادُ الأعْظمُ منَ الأُمَّة، تَعصِمُ نفسَها منَ الِانزلاقِ في متاهةِ الزَّيغِ عن سبيلِ الهُدَى، مُنتَهِجةً ما كان عليه الحبيبُ المصطفى، صلى الله عليه وسلم القائلُ: "لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ

[17] آل عمران (103)

[18] النساء(115)

خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ"
أخرجه الشّيخان.

البند الثّاني

عقيـدة علمـاء الزّيتـونـة

إنّ أهم وأوّل واجب على المسلم، هو معرفة العقيدة التي هي أساس توحيد صفّ المسلمين وجمع كلمتهم، والتي جنى التّونسيّون ومنذ القديم ثمار صحّتها ووحدتها؛ وذلك بفضل جامع الزّيتونة المعمور، الذي زرع في أهلها أطهر وأنقى وأصفى بذورها، إذ كان في هذا الجانب غير خارق لإجماع الأمّة، يدين اللّه بعقيدة أهل السّنّة والجماعة، والمراد بها ومنذ القديم عند إطلاقها: عقيدة الأشاعرة والماتريديّة، شأنه في ذلك شأن جامع الأزهر في مصر، وجامع القرويّين في المغرب، وسائر منارات العلم الدينيّ في العالم الإسلاميّ.

ولمزيد من البيان نقول: إنّ علماء الزّيتونة والقيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، كانوا في عقيدتهم على

مذهب السّلف من الصّحابة والتّابعين، وهو مذهب "الإثبات والتّفويض"، أي إثبات صفات اللّه تعالى مع نفي التّشبيه والتّجسيم والتّعطيل، وتفويض حقيقة معانيها المرادة إلى اللّه تعالى.

ثم في أواخر القرن الرّابع الهجريّ تلقّى بالقبول اقتناعا علماء الزّيتونة والقيروان المذهب الأشعريّ في التوحيد، وذلك لما وجدوا فيه من دفاع عن عقيدة المسلمين، ومن تحصين لها ضدّ العقائد الفاسدة والشُّبهات التي أثارتها بعض الفرق المنتسبة للإسلام آنذاك. وهذا المذهب يعتبر استمرارا لمنهج السّلف في تقرير العقائد والاستدلال عليها بالأدلّة النّقليّة، لكنهم اضطروا إلى إضافة الأدلّة العقليّة التي احتاجها ويحتاجها المسلمون في كل زمان للرّدّ على المبتدعة وأصحاب الأهواء وغير المسلمين ومن شاكلهم.

والمذهب الأشعريّ هو مذهب الإثبات والتّأويل، أي إثبات صفات اللّه تعالى في كل ما ورد من نصوص الكتاب والسّنّة، وتأويل الذي لا بدّ منه في تنزيه اللّه

سبحانه وتعالى في خصوص الألفاظ المتشابهة، بمعان تليق بالله تعالى، وبحسب ما تسمح به قواعد استعمال الكلام العربيّ البليغ من مجاز واستعارة وغيرها، مع الإقرار بالتّفويض.

البنـد الثّـالث

المعتمـد في الفقـه عنـد علمـاء الزّيتونـة

إنّ المذهب المعتمـد في الفقـه عند أهل تونس هو المذهب المالكيّ، بترجيحات واجتهادات علماء المغرب عموما، وعلماء تونس وجامع الزّيتونة خصوصا، مع مراعاة الاختلاف التّكامليّ المعتبر مع بقيّة المذاهب السّنّية (الشّافعية والحنفيّة والحنبليّة).

والمذهب المالكي، نسبة للإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة في وقته، الذي بشّر بظهوره الرّسول الأكرم حين قال: يوشك أن يَضرب النّاس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة ﴿ أخرجه الحاكم وابن حبّان وأحمد والتّرمذي. وأجمع العلماء على أنّه الإمام مالك، وقال فيه تلميذُه الإمام الشّافعيّ: «إذا ذكر العلماء فمالك النّجم".

ولقد اتّبع أهل إفريقيَّة المذهب المالكيّ تفقّها واجتهادا وقضاء، ومعلوم أنّ القاضي والفقيه العلّامة الإمام سحنون، هو جامع مذهب مالك في مدوّنته، وإنّ علماء إفريقيَّة منذ أبي العرب التميميّ، وعليّ بن زياد، وأسد بن الفرات، إلى ابن عرفة، وصولا إلى سالم بوحاجب والخضر حسين ومحمد الزغواني والطّاهر بن عاشور وكلّ علماء الزّيتونة كافّة، كانوا على مذهب الإمام مالك فبيّنوه للنّاس وأَثْرَوه.

ولقد حرص علماء الزّيتونة على وحدة المذهب الفقهيّ المالكيّ، مع الاستئناس بالمذهب الحنفيّ، لوجود بعض فقهائه ومتّبعيه من أصل تركيّ في إفريقيّة، ولطالما كانت وحدة العقيدة والمذهب الفقهيّ عنصر قوّة ومناعة لتونس ضدّ الفتن العقائديّة والطّائفيّة.

البنـد الـرّابع

المنهـج المعتمـد في التّـزكية عند علمـاء الزّيتونـة

إنّ علم التّزكية هو الـرّكن الثّالث من الدّين، وعليـه مـدار تـزكية النّفـس والأدب مع اللّه والسّلـوك إلى رضـوانه. ومرجـع علمـاء تـونس في هذا العلم هو طريقـة الإمامِ أبي القاسم الجنيد، إمام القـوم في مقـام الإحسان، وعلم التّزكية والسّلوك.

ولقد أحسـن وأجـاد الإمام العلامـة ابن عاشـر حيث جمع أقسـام الدين الثلاثة هذه في منظومته، فكان أبناء تونس يَحفظونها منذ نعومة أظفارهم فيُحفظون بما فيها من منهج قويم إذ قال:

في عقد الأشعري وفقه مالك

وفي طريقة الجنيد الـــــسالك

البنـد الخـامـس

علمـاء الزّيتـونـة

هـم مـرجعيّــة أهـل تـونـس

لقـد كـان لتونس علماؤها وأعلامها الرّاسخون في العلم، الذين شهد لـهم القاصي والدَّاني من العلماء العارفين المحقّقين: بسعة الاطّلاع، والتّبحّر في العلوم: منقولـها ومعقولها، مع نبـذ الابتداع، ومـلازمـة الجماعة، والاتّبـاع لأئمّـة سلف هذه الأمّـة، المشهود لهم بالرّئاسة في العلم والتّقى، والنّهـج على ما كـان عليه الحبيـب المصطفى.

وإن جميع التّونسيّين كانوا ولا يزالون مُقرّين ومجمعين على أنّ علماء الزّيتونة هم مرجعيّتنا العلميّة المثلى، بل هم مرجعيّـة لأهل العلم في سائر الأقطار، وأشعّوا بنور علمهم على أهل المغرب خاصّة، وعلى المسلمين حيثما كانوا عـامّة،

ويدلّ على ذلك تآليفهم التي اعتمدت وتُلقّيت بالقبول في سائر الأقطار الإسلاميّة.

وإنّ ما شهدته تونس من حملات تغريب، خلال العقود الخمسة الماضية، وما كان فيها من تجفيف للمنابع، جعل البعض يجهل أو ينسى أو يتناسى قيمة الزّيتونة وعلمائها، وحقيقة المرجعيّة الدينيّة لأهل تونس، ألا وهي العقيدة الأشعريّة والمذهب المالكيّ والسّلوك على طريقة الجنيد؛ وأنّ كلّ ذلك إنّما كان بسند متّصل، وحبل موصول، أخذه أسياد العلم ومشايخه وأقطابه كابرا عن كابر وخلفا عن سلف، ودلّت على ذلك كتبهم ومناقبهم وشهد بذلك التّاريخ.

وعليه فإنّنا اليوم، إذ نخطّ هذا الميثاق، نقرّ بما فيه من مكوّنات هويّتنا العريقة، من عقيدة وفقه وفكر دينيّ وسلوك وتزكية، وهي هويّة خاصّة بأهل تونس، لأنّ المعلوم أنّ كلّ مصر وبلد لديه هويّة خاصّة تتماشى مع عرفه من جانب، ومع ما سخّر اللّه سبحانه وتعالى فيه من أهل العلم وما

سلكوه للناس من مناهج ومعارف ومن مذهب وأحكام من جانب آخر، فليس في هذا مساس بكون الإسلام هو دين كونيّ ولا أنّ فيه تشرذما أو تفرقة، ولكنه تقسيم منهجيّ واقعيّ حقيقيّ. ومن أجل ذلك جاز القول أنّ هؤلاء على مذهب الشّافعيّة في ذاك البلد، وأنّ الآخرين في قطر آخر على مذهب المالكيّة أو الحنفيّة أو الحنبليّة، مع ما يكون من تقاطعات واستئناسات، لأن الاختلاف تكامليّ، فيه تيسير ورحمة من المشرّع بالمكلّفين، وليس تصادميّا، وتبقى العقيدة واحدة لدى الغالبيّة العظمى من أهل الإسلام وهي الأشعريّة والماتريدية. فقد قال رسول اللّه:" وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَة" أخرجه التّرمذيّ وابن أبي شيبة بسند صحيح.

ونحن إذ نقرّ بهذا ونوقّع على هذه الوثيقة، ندعو كلّ أهل تونس إلى الوعي، والالتزام، ونبذ التّشرذم والصّدام، والأخذ من أهل السّند المتّصل على المنهج الزّيتونيّ الحقيقيّ، من منهله الصّافي، ونبعه النّقيّ، وأنّه لا يحقّ لأحد أن يبدّل

ذلك بأيّ حجّة كانت، أو يحرّفه، أو يأتي بما يناقضه، أو يسفّهه، لأنّه بذلك خالف إجماع علماء البلاد منذ أن أنارها اللّه بنور الإسلام، وإلى أن يرث الأرض رب الأنام.

مختارات من التواقيع على الميثاق[19]

(توقيع العلامة الشيخ كمال الدين جعيط رحمه الله المفتي الأسبق)

تم الإقرار والتوقيع عليه من طرف الشيخ: كمال الدين جعيط، ابن محمد العزيز بن يوسف.

ملاحظاته وتقريضه:

هذا هو مذهبي وهذا هو ما أعتقده وهذا هو منهجي في التدريس.

وهذا هو منهجنا الذي قرأنا به وأخذناه عن شيوخنا وعملنا به في حياتنا.

(كتبه محمد بن فرج اللحيمي بخط يده نقلا عن الشيخ حفظه الله تعالى)

توقيعه وختمه: تونس - المرسى، 3 ذو الحجة 1433هـ

شهد التوقيع ابن الشيخ السيد: محمد عبد العزيز

شهد التوقيع كلّ من: محمد بن فرج اللحيمي، علي بن مختار الشعباني

---

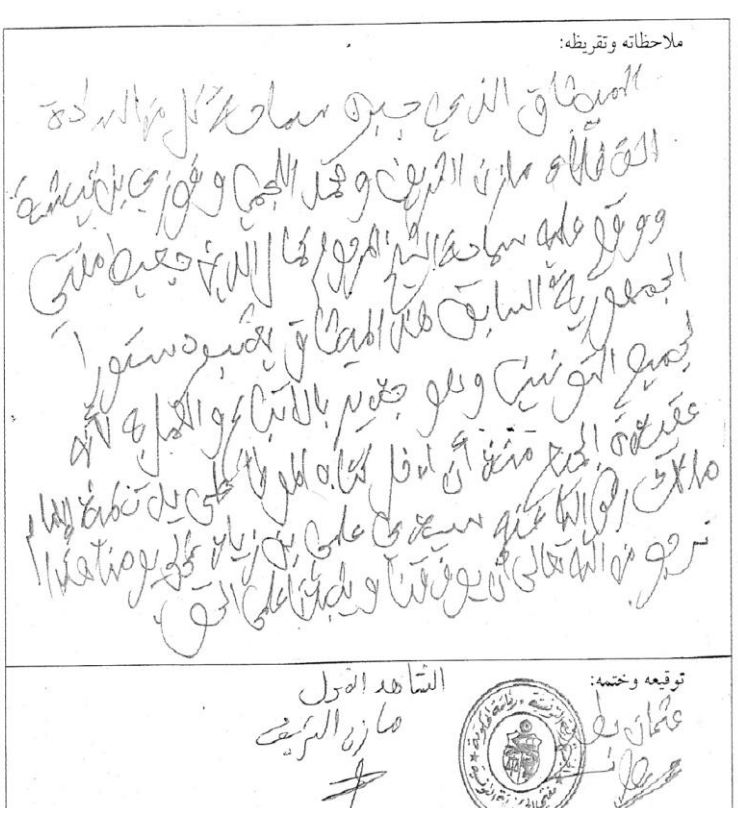
[19] هي مختارات فقط وتجدون عددا أكبر من التواقيع في صفحة الميثاق على فيسبوك: https://www.facebook.com/MythaqlmaTwns

وسوف نضمنها كاملة في كتاب الروض المونس في شرح ميثاق علماء تونس.

يأتي بما يناقضه، أو يسفّهه، لأنّه بذلك خالف إجماع علماء البلاد منذ أن أنارها اللّه بنور الإسلام، وإلى أن يرث الأرض رب الأنام.

التاريخ : 25/ 12/ 2012

تمّ الإقرار والتوقيع عليه من طرف الشيخ: لسماحة مفتي الجمهورية التونسية



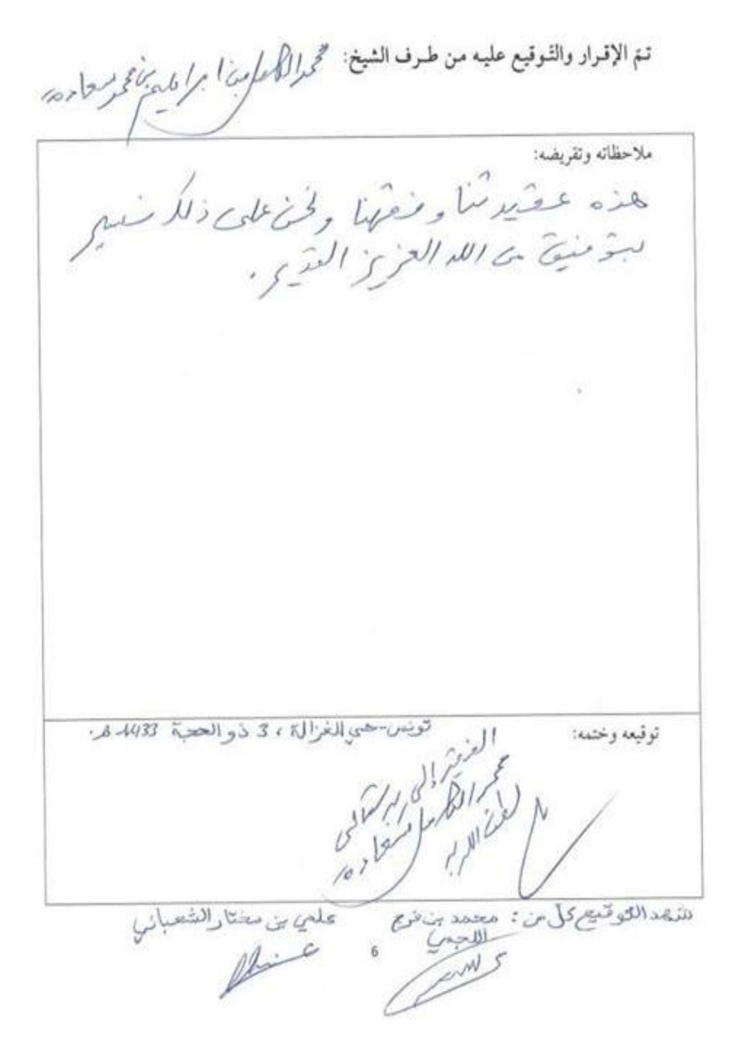
ملاحظاته وتقريظه:

الميثاق الذي حبره سماحة كل من السادة
الشيخ مازن الشريف ومحمد الجمل وفوزي بن عيشة
ووقع عليه سماحة الشيخ المرحوم كمال الدين جعيط مفتي
الجمهورية السابق هذا الميثاق يعتبر دستور
لجميع التونسيين وهو جدير بالاتباع والعمل
[illegible]

توقيعه وختمه: عثمان بطيخ

الشاهد الأول
مازن الشريف

توقيع الشيخ عثمان بطيخ مفتي الجمهورية السابق



تمّ الإقرار والتّوقيع عليه من طرف الشيخ: محمد الكامل بن ابراهيم بن محمد سعادة

ملاحظاته وتقريضه:

هذه عقيدتنا وفقهنا ونحن على ذلك نسير بتوفيق من الله العزيز القدير.

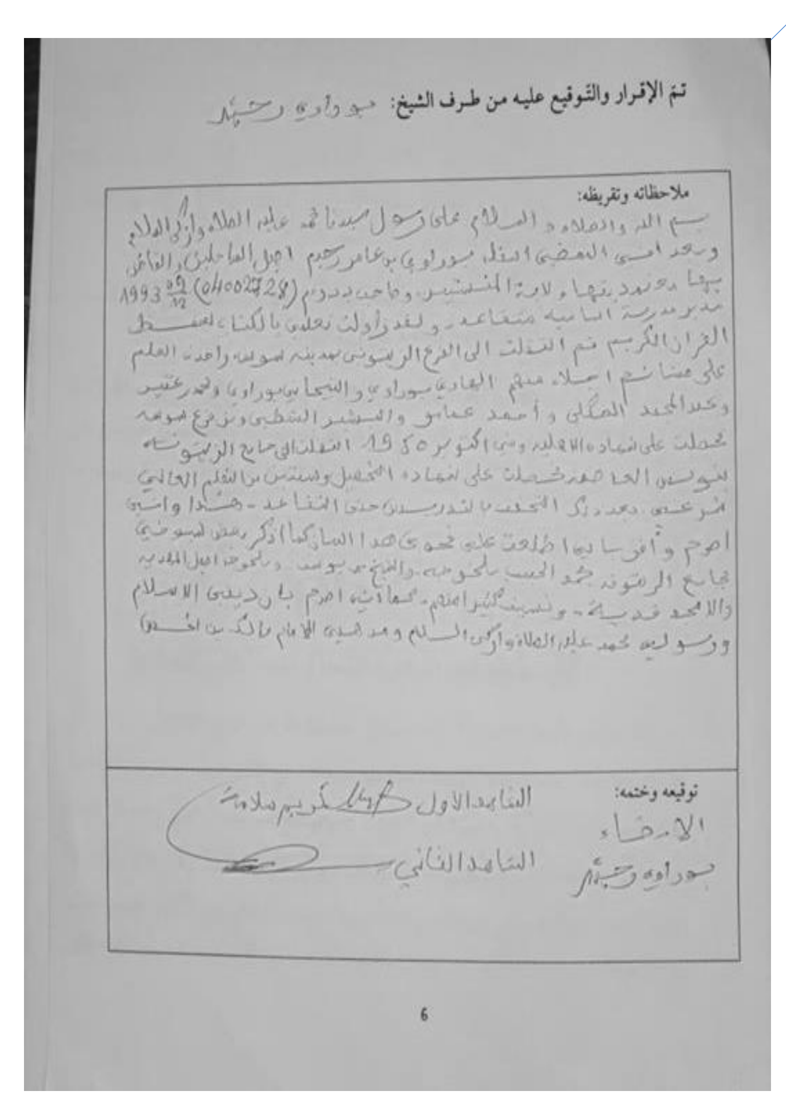
توقيعه وختمه: تونس-حي الغزالة، 3 ذو الحجة 1433 هـ.

الفقير إلى ربه تعالى محمد الكامل سعادة لطف الله به

نشهد التوقيع كل من: محمد بن فرج اللجمي   علي بن مختار الشعباني

6

توقيع القاضي الدكتور الشيخ محمد الكامل سعادة



تمّ الإقرار والتّوقيع عليه من طرف الشيخ: بوراوي رحيم

ملاحظاته وتقريظه:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول سيدنا محمد عليه الصلاة وأزكى السلام
وبعد أمضي [illegible] بوراوي بن عامر رحيم [illegible] والقاطن
بها [illegible] (04002728) 1993/12/09
[illegible] ولقد أوليت تعلمي بالكتاب لحفظ
القرآن الكريم ثم انتقلت إلى الفرع الزيتوني [illegible]
على [illegible] منهم [illegible] بوراوي [illegible] بوراوي ومحمد [illegible]
وعبد المجيد [illegible] وأحمد [illegible] والبشير [illegible]
[illegible] انتقلت إلى جامع الزيتونة
[illegible] على شهادة التحصيل [illegible] العالمية
[illegible] حتى التقاعد - هذا [illegible]
[illegible] كما ذكر [illegible]
جامع الزيتونة [illegible] والشيخ [illegible]
والأمجد [illegible] الإسلام
ورسوله محمد عليه الصلاة وأزكى السلام [illegible] الإمام مالك بن أنس

توقيعه وختمه:
الإمضاء
بوراوي رحيم

الشاهد الأول [illegible]
الشاهد الثاني [illegible]

6

توقيع الشيخ بوراوي رحيّم صاحب العالمية الزيتونية

يأتي بما يناقضه، أو يسفّهه، لأنّه بذلك خالف إجماع علماء البلاد منذ أن أنارها اللّه بنور الإسلام، وإلى أن يرث الأرض رب الأنام.

تونس: في: 13 / 12 / 2012

عنوان: [illegible]

تمّ الإقرار والتوقيع عليه من طرف الشيخ: محمد بن جلول الغربي

الحائز على شهادة العالمية شعبة أصول الدين لسنة 1953

المولود بتاريخ: 8 / 10 / 1927 بمنزل بورقيبة. [illegible]

ملاحظاته وتقريظه:

أشهد وأقرّ على ما ورد في الوثيقة المذكورة آنفاً وهذا ما وجدنا عليه شيوخنا وما تشهد به مقرّرات جامع الزيتونة دام عمرانه وعظم شأنه

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، وما توفيقنا إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

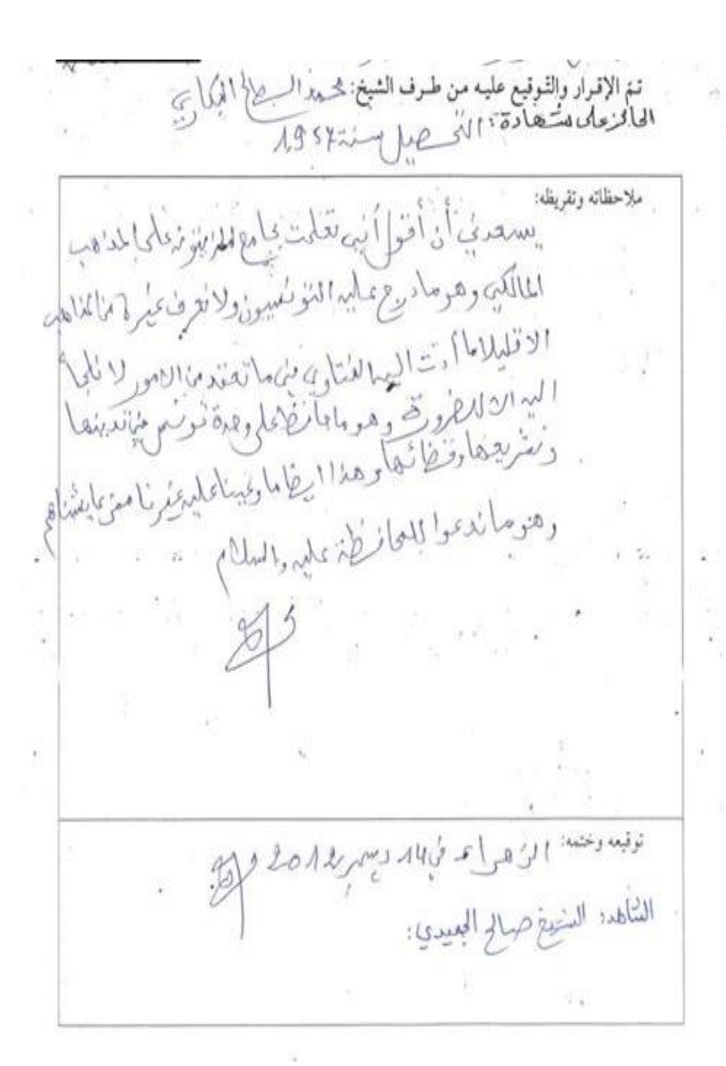
كتبه نيابة عنه وبتوكيل منه: خادم العلم الشريف فوزي بن نتيشة

إمضاء الشيخ: [signature]

توقيعه وختمه: محمد الغربي [signature]

الشاهد: الشيخ فوزي بن نتيشة [signature]

توقيع الشيخ محمد الغربي صاحب العالمية الزيتونية


تمّ الإقرار والتوقيع عليه من طرف الشيخ: محمد الصالح البكاري
الحائز على شهادة: التحصيل سنة 1957

ملاحظاته وتقريظه:
يسعدني أن أقول أني تعلمت بجامع [illegible] على المذهب المالكي وهو ما درج عليه التونسيون ولا نعرف غيره من المذاهب إلا قليلا ما أدت إليه الفتاوى في ما تعتقد من الأمور لا نلجأ إليه إلا للضرورة وهو ما حافظ على وحدة تونس في تدينها وتشريعها وقضائها وهذا أيضا ما وجدنا عليه غيرنا ممن عايشناهم وهو ما ندعوا المحافظة عليه والسلام

توقيعه وختمه: الزهراء في 14 ديسمبر 2012
الشاهد: الشيخ صالح الجعيدي:

توقيع الشيخ محمد صالح البكاري الحائز على شهادة التحصيل

ملحق

للتعريف بأهم أعلام الصوفية

1/ الروّاس: بهاء الدين مهدي الرواس الصيادي الرفاعي المشهور بـ "الروّاس"، أحد أعلام التصوف في القرن الثالث عشر الهجري، وأحد أبرز الصوفيين في الطريقة الرفاعية.

نسبه ونشأته: هو بهاء الدين مهدي الرواس بن علي بن نور الدين بن أحمد بن محمد بن بدر الدين بن علي الرديني بن محمود الصوفي الصيادي الرفاعي. ولد سنة 1220 هـ، وكانت ولادته في سوق الشيوخ بليدة صغيرة من أعمال البصرة سكنها والده، بعد الطاعون الذي وقع في البصرة، وتوفي والده وبقي يتيماً، ثم توفيت أمه وقد بلغ خمس عشرة سنة. وكان قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال له ملا أحمد، وكان من الصالحين.

رحلاته: في 1235 هـ خرج طالباً بيت الله الحرام، وجاور في مكة سنة، ثم جاور في المدينة المنورة سنتين، وفيها اشتغل بطلب العلم على رجال الحرم النبوي، ثم ذهب إلى مصر ونزل في الجامع الأزهر، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الأزهر، حتى برع في كل فن وعلم، ثم عاد سائحاً إلى العراق، فاجتمع بالشيخ عبد الله الراوي الرفاعي، فأخذ عنه الطريقة الرفاعية، ولزم خدمته والسلوك على يديه مدة، وأجازه وأقامه خليفة عنه. ثم طاف البلاد وذهب إلى الهند وخراسان والعجم والتركستان والكردستان، وجاب العراق والشام

والقسـطنطينية والأنادول والروملـي، وعـاد إلى الحجـاز، وذهـب إلى اليمن ونجد والبحرين.

وكان لا يمكث في بلدة سبعة أشهر قط، وأكثر إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهر، وكان يلبس ثوباً أبيض وفوقه دراعة زرقاء وعبا قصيرة من دون أكمام، وحزامه من الصوف الأسود عملاً بالأثر الرفاعي، والسنة المحمدية، واختفاء عن ظاهر الشيخ.

مؤلفاته كثيرة منها: بوارق الحقائق/ طي السجل/ فصل الخطاب/ برقمة البلبل/ الدرة البيضاء/ الحكم المهدوية /مشكاة اليقين (ديوان)/ معراج القلوب (ديوان).

وفاته: توفي في سنة 1287 هـ في بغداد ودفن فيها في الجانب الشرقي منها بمسجد دكاكين حبوب، وقد بلغ من العمر سبعاً وستين سنة.

للرواس شعر ذوقي رفيع وقصائد اشتهرت في الآفاق ورددها المنشدون. ومن أشهر قصائده:

وطّد فـؤادك كلنا عشّـاقُ طـار الهوى فيـنا لمن نشتـاقُ

أخذت فنون العشق كل قلوبنا وتمكنت بجميـعها الأحـراقُ

نـار تـشبّ وزفرة لا تنطفي الله هذا الشـأن كيف يُطاقُ

سكن الغرام القلب غير مزحزح ومن الـعجائب بيته خفّاقُ

قيـد وإطلاق ببيـت واحـدٍ في القلب مني القيد والإطلاقُ

لو شمتنا يوم الـــــفراق ذواهلا لرأيت كيف الى الـقبـور نساقُ
وحياتكم يا من لأجل عيونكم هـــــا دمع عيني فـائض رقراقُ

2/ ابن عربي: محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطـائي الأندلسـي أحـد أشـهر المتصـوفين لقبـه أتباعـه وغـيرهم مـن الصوفية "بالشيخ الأكبر" ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولـد في مرسـية في الأنـدلس في شـهر رمضـان الكـريم عـام 558 هـ الموافق 1164م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني وتوفي في دمشــق عــام 638هــ الموافــق 1240م. ودفــن في ســفح جبــل قاسيون. له شعر رقيق في الروحانية والغزل الصوفي.

3/ ابن الفارض: هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لقب بـ "سلطان العاشقين". والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقاً إلى مصر.

مولده ونشأته: ولد بمصر سنة 576 هـ الموافق 1181م، ولما شب اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد. رحل إلى مكة في غير أشهر الحج، واعتزل في واد بعيد عنها. وفي عزلته تلك نظم معظم أشعاره في الحب الإلهي، حتى عاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا.

من شعره قوله:

لم أخل من حسد عليك فلا تضع سهري بتشييع الخيـال المرجف

واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفني وكيف يزور من لم يعرف

ومن روائعه:

أعد ذكر من أهوى ولو بملام فإن أحـــاديث الحبيـب مدامي

كأن عذولي بالوصال مبشري وإن كنت لم أطمع بـرد سلامي

توفي سنة 632 هـ الموافق 1235م في مصر ودفن بجوار جبل المقطم في مسجده المشهور.

4/ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري: والمعروف باسم سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني ويلقب بشيخ الشيوخ ولقبه ابن عربي بمعلم المعلمين (509 هـ-1126 في قطنيانة ، 594 هـ-1198 في تلمسان) فقيه و متصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس ، تعلم في إشبيلية و فاس وقضى أغلب حياته في بجاية وكثر أتباعه هناك واشتهر أمره ، فوشى به البعض عند يعقوب المنصور الموحدي بمراكش ، فبعث إليه الخليفة للقدوم عليه لينظر في مزاعم حول خطورته على الدولة الموحدية ، وفي طريقه مرض وتوفي نواحي تلمسان ، وبنى سلاطين بني مرين بضريحه مسجداً ومدرسة.ولأبي مدين شعيب

مؤلفات كثيرة في التصوف، وديوان في الشعر الصوفي وكذلك تصانيف من بينها "أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد".

5/ ابـن عطـاء الله السَّـكَندَري: فقيـه مـالكي وصـوفي شـاذلي الطريقة، بل أحد أركان الطريقة الطريقة الشاذلية الصوفية، (658 هـ / 1260م - 709 هـ / 1309م). الملقـب بـ "قطـب العـارفين" و"ترجمـان الواصـلين" و"مرشـد السـالكين". كـان رجـلاً صـالحاً عالمـاً يتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطريق، وله ذوق ومعرفـة بكـلام الصـوفية وآثار السـلف. وكـان ينتفـع النـاس بإشاراته. وله موقع في النفس وجلالة.

تـرك ابـن عطـاء الكثير مـن المصنفات والكتـب منهـا المفقـود ومنهـا الموجود، لكن أبرز ما بقي له:

لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.

القصد المجرد في معرفة الإسم المفرد.

التنوير في إسقاط التدبير.

أصول مقدمات الوصول.

الطريق الجادة في نيل السعادة.

عنوان التوفيق في آداب الطريق، شرح بها قصيدة الشيخ أبو مدين (ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا).

تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس.

مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح.

الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة، وهي أهم ما كتبه وقد حظيت بقبول وانتشاراً كبيراً ولا يزال بعضها يُدرس في بعض كُليات جامعة الأزهر، كما تَرجم المستشرق الانجليزى آرثر اربري الكثير منها إلى الإنجليزية، وترجم الأسباني ميجيل بلاسيوس فقرات كثيرة منها مع شرح الرندى عليها.

6/ أبو الحسن سريّ الدين بن المغلس السَّقطي: أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي أنه «إمام البغداديين وشيخهم في وقته». وكان تلميذ معروف الكرخي وخال الجنيد وأستاذه.

قيل: كان يوماً في دكانه، فجاء معروف ومعه صبي يتيم، فقال لي: "اكسه!". قال سري: فكسوته، ففرح به معروف، فقال: بغض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه!". قال: "فقمت من الدكان وليس شيء أبغض إلي من الدنيا وما فيها، وكل ما أنا فيه من بركاته".

من أقواله: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلي الباطل؛ وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

الشكر ثلاثة أوجه: للسان، وللبدن، وللقلب. فالثالث أن يعلم أن النعم كلها من الله، الثاني ألا يستعمل جوارحه إلا في طاعته بعد أن عافاه الله، والأول دوام الحمد عليه.

من أراد أن يسلم دينه، ويستريح قلبه وبدنه، ويقل غمه، فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة

الأدب ترجمان العقل/ من خاف اللهَ خافه كلُّ شيءٍ.

من علامة الاستدراج للعبد عماه عن عيبه واطلاعه على عيوب الناس.

لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها.

المغبون من فنيت أيامه بالتسويف.

احذر أن تكون ثناءً منشورا وعيبا مستورا.

التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

أربع خصال ترفع العبد: العلم والأدب والعفة والأمانة.

تصفية العمل من الآفات أشد من العمل.

من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة.
قال: "المتصوف اسم لثلاث معان: هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله".

7/ أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري: أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري[1]، وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه «أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال»[1]، أصله من "تستر" أحد مدن محافظة خوزستان الموجودة حاليًا في إيران.
سكن البصرة وعبادان مدة. وكان سبب سلوكه التصوف خاله محمد بن سوار. وروى أنه قال: "قال لي خالي يوماً: يا سهل! ألا تذكر الله الذي خلقك؟". قلت: "فكيف أذكره؟ قال: "عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي" فقلت ذلك، ثم أعلمته فقال: "قلها كل ليلة إحدى عشرة مرة"، فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: "احفظ ما علمتُك، ودم عليه، إلى إن تدخل القبر. فإنه ينفعل

في الدنيا والآخرة" . فلم أزل على ذلك سنسن، فوجدت له حلاوة في سري. ثم قال لى خالي يوماً: "يا سهل! من كان الله معه، وهو ناظر إليه، وشاهده، يعصيه؟ إياك والمعصية" فكان ذلك أول أمره[2]، وروى أن عمره كان إذ ذاك ثلاث سنين ما فوقها.

له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك.

8/ الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري: كنيته أبو عبد الله، سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه. أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي أنه «أستاُذ أكثرِ البغداديين»[1]؛ وهو من أَهل البصرة ولد سنة 170 هـ.

أقواله:في تنزيه الله هو سبحانه علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك لتفرده بعلم الغيوب فلا حاجة للقول بصفات حادثة ولا حاجة لنفي الصفات بحجة التنزيه ما دام العلم واحدا في كل حال والمتغير تعلقه أي المعلوم إذ أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه.

من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين.

المحبة ميلك إلي المحبوب بكليتك، ثم أيثار له علي نفسك وزوجك ومالك، ثم موافقتك له سراَ وجهراَ، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

جوهر الإنسان الفضل وجوهر العقل التوفيق.

ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين وتركها مع نسيانها صفة العارفين.

خيار هذه الأُمةِ الذين لا تشغُلهم آخِرتهم عن دنيا هم؛ ولا دنياهم عن آخِرتِهم.

من طبع على البدعة متي يشيع فيه الحق؟

من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة.

من مؤلفاته: فهم القرآن ومعانيه.

لتوبة. بدء من أناب إلى الله.

شرح المعرفة وبذل النصيحه.

آّداب النفوس.

كتاب الرعايةِ لحقوق الله.

التوهم.

كتاب مائية العقل وحقيقة معناه.

9/ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري: إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، (376 هـ – 465 هـ)، الملقب بـ "زين الإسلام".

مولده ونشأته: ولد القشيري بقرية تدعى "إستو" من قرى "نيسابور" في ربيع الأول من سنة 346 هـ. توفي أبوه وهو طفل صغير وبقي في كنف أمه إلى أن تعلم الأدب، والعربية، ثم رحل بعد ذلك من "إستوا" إلى نيسابور قاصدا تعلم ما يكفيه من طرق الحساب لحماية أهل قريته من ظلم عمال الخراج. فكانت هذه الرحلة تعبر في جوهرها عن أهم حلقات الآثار النفسية التي ترسبت في شخصية القشيري، والتي اتضحت فيما بعد في مواقفه أمام السلطة الزمنية.

رحلته العلمية: و أثناء هذه الرحلة حضر حلقة الإمام الصوفي الشهير بأبي علي الدقاق (توفي 406 هـ) وكان لسان عصره في التصوف، وعلوم الشريعة، فقبل القشيري في حلقته بشرط أن يكتسب الشريعة، ويتقن علومها. وهذا ما يفسر دعوة القشيري في مشروعه الإصلاحي إلى الملازمة بين علوم الشريعة والتصوف. وقد قبل هذا الشرط وعكف على دراسة الفقه عند أئمته. ولما انتهى منه حضر عند الإمام أبي بكر

بن فورك (توفي 406 هـ) ليتعلم الأصول. فبرع في الفقه والأصول معا، وصار من أحسن تلاميذته ضبطا، وسلوكا.

وبعد وفاة أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني (توفي 418 هـ)، وقعد يسمع جميع دروسه، وبعد أيام، قال له الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع، فأعاد عليه ما سمعه منه، فقال له : لست تحتاج إلى دروسي بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي، وتنظر في طريقتي وإن أشكل عليك شيء طالعتني به: ففعل ذلك وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك.

ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وبذلك صار القشيري بارعا في الفقه، والأصول مما دفع بالجويني إمام الحرمين أن يصاحبه، ويحج معه رفقة أبي بكر البيهقي. ولم يقتصر القشيري على الفقه والأصول، بل كان متحققا في علم الكلام ومفسرا، متفننا نحويا ولغويا، أديبا كاتبا شاعرا، شجاعا بطلا، له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة.

و هكذا حقق الإمام القشيري ما طلبه منه أستاذه "الدقاق" في تحصيل علوم الشريعة. كل ذلك وهو يحضر حلقات أستاذه "الدقاق" في التصوف والمباحث النفسانية إلى لأن رأى فيه قبسا من النبوغ، والعطاء فزوجه كريمته ومات أبو علي الدقاق وهو في غاية الاطمئنان

على محاضرات التصوف بين يدي تلميذه الذي أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه، وقدوة وقته، وبركة المسلمين في ذلك العصر. وعندما نال القشيري هذه الشهادة أصبح أستاذ خراسان بدون منازع.

مؤلفاته: صنف القشيري العديد من الكتب والرسائل، غير أن مصادر التاريخ تذكر أن أغلب مصنفاته فقدت، ومن أهمها:

الرسالة القشيرية في التصوف.

لطائف الإشارات، تفسير للقرآن الكريم في ست مجلدات.

كتاب القلوب الصغير، والكبير.

شكاية أحكام السماع.

شكاية أهل السنة.

ناسخ الحديث ومنسوخه.

ديوان شعر.

القصيدة الصوفية.

الحقائق والرقائق، مخطوط بمكتبة جيستر بيتي (دبلن) أيرلندة رقم 3052.

فتوى محررة في ذي القعدة سنة 436 هجرية أوردها السبكي في طبقاته الجزء الثالث.

آداب الصوفية، مفقود.

كتاب الجواهر، مفقود

كتاب المناجاة، مفقود.

رسالة ترتيب السلوك، ظهرت مترجمة بالألمانية سنة 1962 م بقلم فرتزماير Fritz Meier بمجلة Oriens. وتوجد مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط.

بُلغة القاصد.

منثور الخطاب في مشهور الأبواب. مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط.

المنشور في الكلام على أبواب التصوف. مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط.

عيون الأجوبة في أصول الأسئلة. مفقود.

شرح أسماء الله الحسنى، أو التحبير في التذكير.

وفاته: توفي القشيري سنة 465 هـ.

10/ الحسن بن يسار البصري: (21هـ/642م - 110هـ/728م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة

لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة، وتربى في بيت النبوة. كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا له عمر بن الخطاب، فقال "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس". حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره.

اسمه ونسبه وقبيلته: هو الحسن بن أبي الحسن يسار ،أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي. وكان أبوه مولى جميل بن قطبة وهو من سبي ميسان، سكن المدينة وأُعتِق وتزوج بها في خلافة عمر بن الخطاب فولد له بها الحسن –رحمة الله عليه– لسنتين بقيتا من خلافة عمر. وأمه خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين كانت تخدمها، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله أم سلمة برضاعته، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من أم المؤمنين زوجة رسول الله، ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب، قال: ((اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس)).

نشأته بين الصحابة: نشأ في الحجاز بين الصحابة، ورأى عدداً منهم وعاش بين كبارهم، مما دفعه إلى التعلم منهم، والرواية عنهم، وحضر

الجمعة مع عثمان بن عفان وسمعه يخطب، وشهد يوم استشهاده يوم تسلل عليه قتلته الدار,، وكان عمره أربع عشرة سنة.

وفي سنة 37 هـ انتقل إلى البصرة، فكانت بها مرحلة التلقي والتعلم، حيث استمع إلى الصحابة الذين استقروا بها، وفي سنة 43هـ عمل كاتبا في غزوة لأمير خراسان الربيع بن زياد الحارثي لمدة عشر سنوات، وبعد رجوعه من الغزو استقر في البصرة حيث أصبح أشهر علماء عصره ومفتيها حتى وفاته.

انفصل عنه تلميذه واصل بن عطاء وكون الحلقة الأولى لمذهب المعتزلة، وكان سبب ذلك أن واصلاً ابن عطاء سأل الحسن البصري عن عصاة الموحدين فقال الحسن : " هم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم "، فقال واصل: " بل هم في منزلة بين المنزلتين "، ثم اعتزل حلقته، فقال الحسن البصري "اعتزلنا واصل"، فسميت فرقته منذ ذلك الحين بالمعتزلة.

صفاته وشمائله: كان الحسن البصري حسن الصورة، بهي الطلعة، وكان عظيم الزند قال محمد بن سعد "كان الحسن فقيها، ثقة، حجة، مأمونا، ناسكا، كثير العلم، فصيحا، وسيما". وكان من الشجعان الموصوفين في الحروب، وكان المهلب بن أبي صفرة يقدمهم إلى القتال، واشترك الحسن في فتح كابور مع عبد الرحمن بن سمرة.

قال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصري".

وقال الغزالي: "وكان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم، هديا من الصحابة، وكان غايةً في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه ". (أي من فمه)

كان الحسن كثير الحزن، عظيم الهيبة، قال أحد أصحابه: "ما رأيت أحدا أطول حزنا من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة".

كان يقول: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا. فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رؤوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رؤوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك. ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار.

عن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

أما عن سبب حزنه فيقول الحسن رحمه الله: "يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده، أن يطول حزنه".

روى الطبراني عنه أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل (أي حاولت قيام الليل فلم أستطعه)، فقال: قيدتك خطاياك. وجاءه آخر فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء فقال له الحسن: هل تقوم الليل؟ فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجاته.

كان يقول: من علامات المسلم قوة دين، وجزم في العمل وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحسن في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة (جوع) وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة،

وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة. لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يقلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نغيته.

قال له رجل: إن قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً (أي يتصيدون الأخطاء). فقال: هون عليك يا هذا، فإني أطمعت نفسي في الجنان فطمعت، وأطمعتها في النجاة من النار، فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلاً، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟.

سُئل الحسن عن النفاق فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، ما خافه إلا مؤمن (أي النفاق) ولا أمنه إلا منافق.

وكان الحسن البصري يصوم الأيام البيض، والأشهر الحرم، والإثنين والخميس.

قالوا عن الحسن:سُئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن؟ قال: سلوا مولانا الحسن. فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا. وقال أيضاً: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

وقال قتادة: وما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه، وكان الحسن مهيباً يهابه العلماء قبل العامة.

علمه: لقد كان الحسن أعلم أهل عصره، يقول قتادة: "ما جمعت علمه إلى أحد العلماء إلا وجدت له فضلا عليه، غير أنه إذا أشكل عليه كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن".

كان للحسن مجلسان للعلم: مجلس خاص بمنزله، ومجلس عام في المسجد يتناول فيه الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة وغيرها وكان تلاميذه كثر.

رأى الحسن عددا كبيرا من الصحابة وروى عنهم مثل النعمان بن بشير، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس رضوان الله عليهم، ونتيجة لما سبق فقد لقبه عمر بن عبد العزيز بسيد التابعين حيث يقول: "لقد وليت قضاء البصرة سيد التابعين". أما السيدة عائشة رضى الله عنها وعندما سمعته يتكلم قالت: (من هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين؟).

من مواقف الحسن البصري: كتب الحسن لعمر بن عبد العزيز ينصحه فقال: "فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد أئتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وبدد ماله". ولقد عنف الحسن البصري طلبة العلم الشرعي الذين يجعلون

علمهـم وسيلة للاستجداء فقال لهم: "والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيما عندكم".

11/ أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري : الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (450 هـ - 505 هـ / 1058م - 1111م). كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه.، وكان سنّيّ المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية السنّيّة في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، (وكانوا الباقلاني والجويني والغزّالي). لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة.

كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات.ولد وعاش في طوس، ثم انتقل إلى نيسابور ليلازم أبا المعالي الجويني (الملقّب بإمام الحرمين)، فأخذ عنه معظم العلوم، ولما

بلغ عمره 34 سنة، رحل إلى بغداد مدرّساً في المدرسة النظامية في عهد الدولة العباسية بطلب من الوزير السلجوقي نظام الملك. في تلك الفترة اشتُهر شهرةً واسعةً، وصار مقصداً لطلاب العلم الشرعي من جميع البلدان، حتى بلغ أنه كان يجلس في مجلسه أكثر من 400 من أفاضل الناس وعلمائهم يستمعون له ويكتبون عنه العلم. وبعد 4 سنوات من التدريس قرر اعتزال الناس والتفرغ للعبادة وتربية نفسه، متأثراً بذلك بالصّوفية وكتبهم، فخرج من بغداد خفيةً في رحلة طويلة بلغت 11 سنة، تنقل خلالها بين دمشق والقدس والخليل ومكة والمدينة المنورة، كتب خلالها كتابه المشهور إحياء علوم الدين كخلاصة لتجربته الروحية، عاد بعدها إلى بلده طوس متخذاً بجوار بيته مدرسةً للفقهاء، وخانقاه (مكان للتعبّد والعزلة) للصوفية.

12/ عبد القادر الجيلي أو الجيلاني: أو الكيلاني (470 هـ - 561 هـ)، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي، لقبه أتباعه بـ "باز الله الاشهب" و "تاج العارفين"

و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية.

ولد في 11 ربيع الثاني وهو الاشهر سنة 470 هـ الموافق 1077م ، وهناك خلاف في محل ولادته حيث توجد روايات متعددة ،أهمها القول بولادته في جيلان في شمال إيران حالياً على ضفاف بحر قزوين ، و القول أنه ولد في جيلان العراق وهي قرية تاريخية قرب المدائن 40 كيلو متر جنوب بغداد، وهو ما أثبتته الدراسات التاريخية الأكاديمية وتعتمده الاسرة الكيلانية ببغداد . وقد نشأ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر بالصالحة، فقد كان والده أبو صالح موسى معروفا بالزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محب الجهاد".

أسرته: هو: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أنجب عبد القادر عدداً كبيراً من الأولاد، وقد عنى بتربيتهم وتهذيبهم على يديه واشتهر منهم عشرة:

عبد الوهّاب: وكان في طليعة أولاده، والذي درس بمدرسة والده في حياته نيابة عنه، وبعد والده وعظ وأفتى ودرس، وكان حسن الكلام في مسائل الخلاف فصيحاً ذا دعابة وكياسة، ومروءة وسخاء، وقد جعله الإمام الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل حوائج الناس اليه، وقد توفي سنة 573 هـ ودفن في رباط والده في الحلبة.

عيسى: الذي وعظ وأفتى وصنف مصنفات منها كتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار" في علم الصوفية، قدم مصر وحدث فيها ووعظ وتخرج به من أهلها غير قليل من الفقهاء، وتوفي فيها سنة 573 هـ.

عبد العزيز: وكان عالماً متواضعاً، وعظ ودرّس، وخرج على يديه كثير من العلماء، وكان قد غزا الصليبين في عسقلان وزار مدينة القدس ورحل جبال الحيال وتوفي فيها سنة 602 هـ، وقبره في مدينة "عقرة" من أقضية لواء الموصل في العراق.

عبد الجبار: تفقه على والده وسمع منه وكان ذا كتابة حسنة، سلك سبيل الصوفية، ودفن برباط والده في الحلبة.

الشيخ عبد الرزاق: وكان حافظا متقنا حسن المعرفة بالحديث فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورعا منقطعاً في منزله عن الناس، لا يخرج إلا في الجمعات، توفي سنة 603 هـ، ودفن بباب الحرب في بغداد.

إبراهيم: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى واسط في العراق، وتوفي بها سنة 592 هـ.

يحيى: وكان فقيها محدثا انتفع الناس به، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة 600 هـ، ودفن برباط والده في الحلبة.

موسى: تفقه على والده وسمع منه ورحل إلى دمشق وحدّث فيها واستوطنها، ثم رحل إلى مصر وعاد إلى دمشق وتوفي فيها وهو آخر من مات من أولاده.

صالح : وبه يكنى في أغلب البلدان وذكرته أغلب المصادر المتخصصة في سيرته وهو مدفون قرب والده في بغداد.

سفره إلى بغداد: كان عبد القادر الجيلاني قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها سنة 488 هـ الموافق 1095م وعمره ثمانية عشر عاماً[8] في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله. وبعد أن استقر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي

كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ.

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلاني إلى بغداد تسوده الفوضى التي عمت كافة أنحاء الدولة العباسية، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقا كثيرا من المسلمين ونهبوا أموالاً كثيرة. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر احدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة.

وكانت فرقة الباطنية قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين وقادتهم فجهز السلطان السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى إيران فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء بني مزيد من قبيلة بني أسد قد خرج بجيش من العرب

والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين.

وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد، وتفقه على مجموعة من شيوخ الحنابلة ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المخَرِمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على كبار المحدثين. وقد أمضى ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها.

جلوسه للوعظ والتدريس: عقد الشيخ أبو سعيد المخَرِمي لتلميذه عبد القادر مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء. واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يرد كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يرد كثيراً من الضالين عن ضلالتهم، حيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد

على خمسة الآف من اليهود والمسيحيين. وبحسب بعض المؤرخين، فإن الجيلاني ألتقى و تأثر ب الغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين". وكان الشيخ عبد القادر يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طية من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائهم وطواقيهم تقليداً له وهم لا يشعرون.

وبعد أن توفي أبو سعيد المبارك المخزومي فوضت مدرسته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلس فيها للتدريس والفتوى، وجعل طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما حتى ضاقت بهم فأضيف إليها من ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق 1133م. وصارت منسوبة إليه.

وكان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرأون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وهناك روية تقول أنه أفتى على مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان.

مؤلفاته: صنف عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق والتصوف، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصوّر، منها:

إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.

أوراد الجيلاني.

آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك.

تحفة المتقين وسبيل العارفين.

جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.

حزب الرجاء والانتهاء.

الحزب الكبير.

دعاء البسملة.

الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.

رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.

الغُنية لطالبي طريق الحق: وهو من أشهر كتبه في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزءان.

الفتح الرباني والفيض الرحماني: وهو من كتبه المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد.

فتوح الغيب : وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد ويتألف من 78 مقالة.

الفيوضات الربانية: وهكذا الكتاب ليس له ولكنة يحتوي الكثير من أوراده وأدعيته وأحزابه.

معراج لطيف المعاني.

يواقيت الحكم.

سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.

الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.

رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة مترجمة للفارسية يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول .

المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.

حزب عبد القادر الجيلاني: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.

تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.

الرد على الرافضة: منسوب له وهو لمحمد بن وهب نسخة مخطوطة في المكتبة القادرية ببغداد.

وصايا الشيخ عبد القادر: موجود في مكتبة فيض الله مراد تحت رقم 251.

بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب: مواعظ للشيخ جمعها نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف اللخمي الشطنوفي.

تفسير الجيلاني: في مكتبة رشيد كرامي في طرابلس الشام ويقول عفيف الدين الجيلاني أنه مطبوع في تركيا.

الدلائل القادرية.

الحديقة المصطفوية: مطبوعة بالفارسية والأردية.

الحجة البيضاء.

عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.

بشائر الخيرات.

ورد الشيخ عبد القادر الجيلاني.

كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.

المختصر في علم الدين.

مجموعة خطب.

قال العلماء عنه: قال الإمام النووي : ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين وكرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني، كان شيخ السادة

الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رياسة العلم في وقته, وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة, وانعقد علية إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام, والرجوع إلى قولة والمصير إلى حكمه, وأُهرع إليه أهل السلوك - التصوف - من كل فج عميق. وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الأدب والمروءة كثير التواضع دائم البشر وافر العلم والعقل شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه معظما لأهل العلم مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة, مبغضاً لأهل البدع والأهواء محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهد ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى سخي الكف كريم النفس على أجمل طريقة. وبالجملة لم يكن في زمنه مثله.

قال الإمام العز بن عبد السلام: إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر.

قال الذهبي: الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد.

قال أبو أسعد عبد الكريم السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح، كثير الذكر دائم الفكر, وهو شديد الخشية, مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلا ولو بأحد ثوبيه.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة, يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالبا كالأزواج والأولاد, ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله علية وسلم.

قال ابن قدامة المقدسي: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ عبد القادر بها انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء, وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة, وما رأيت بعده مثله ولم أسمع عن أحد يحكي من الكرامات أكثر مما يحكى عنه, ولا رأيت احداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.

قال ابن رجب الحنبلي : عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ثم البغدادي, الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة, محيي الدين ظهر للناس, وحصل له القبول التام, وانتصر

أهل السنة الشريفة بظهوره, وانخذل أهل البدع والأهواء, واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته, وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار, وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.

قال الحافظ ابن كثير : الشيخ عبد القادر الجيلي، كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات.

قال الإمام اليافعي : قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة, شيخ الشيوخ, قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه, تحلى بحلي العلوم الشرعية وتجمل بتيجان الفنون الدينية, وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق, قام بنص الكتاب والسنة خطيبا على الأشهاد, ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد, وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها, وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً, تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء.

قال الإمام الشعراني : طريقته التوحيد وصفاً وحكما وحالا وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطناً.

قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه, ومن يبلغ مبلغة, ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه, وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اقترف, لا ثاني له في وقتنا هذا.

قال الشيخ بقا بن بطو : كانت قوة الشيخ عبد القادر الجيلاني في طريقته إلى ربة كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالاً.

قال ابن السمعاني عنه: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديِّن خيِّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة.

قال عنه محيي الدين ابن عربي: وبلغني أن عبد القادر الجيلي كان عدلاً قطب وقته.

وفاته: توفي الإمام الجيلاني ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ،جهزه وصلي عليه ولده عبد الوهّاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وهرع الناس للصلاة على قبره وزيارته، وبلغ تسعين سنة من عمره.

13/ أحمد الرفاعي: الفقيه الشافعي الأشعري الصوفي، (512 – 578) هـ، الملقب بـ "أبو العلمين" و"شيخ الطرائق" و"الشيخ الكبير"

و"أستاذ الجماعة". إليه تنتسب الطريقة الرفاعية من الصوفية. وأحد أقطاب الصوفية المشهورين.

نسبه ومولده: هو السيد أحمد أبو العباس بن علي بن يحيى بن ثابت بن الحازم علي أبي الفوارس بن أحمد المرتضى بن علي بن الحسن الأصغر المعروف برفاعة بن مهدي المكي أبو رفاعة بن أبي القاسم محمد بن الحسن القاسم المكنى بأبي موسى بن الحسين عبد الرحمن لقبه الرضي المحدث بن أحمد الصالح الأكبر بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ولد الإمام أحمد الرفاعي سنة 512 هـ في العراق في قرية حسن بالبطائح (والبطائح عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة) وفي السابعة من عمره توفي أبوه في بغداد فكفله خاله الشيخ الزاهد منصور البطائحي (دفين بلدروز–العراق) وهو الذي رباه تربية دينية.

حياته: نشأ الإمام أحمد الرفاعي منذ طفولته نشأة علمية وأخذ في الانكباب على العلوم الشرعية، فقد درس القرآن العظيم وترتيله على الشيخ عبد السميع الحربوني في قريته وله من العمر سبع سنين، وانتقل مع خاله ووالدته وأخوته إلى بلدة "نهر دفلي" من قرى واسط في

العراق وأدخله خاله على الإمام الفقيه الشيخ أبي الفضل علي الواسطي وكان مقرئا ومحدثا وواعظا عالي الشأن. فتولى هذا الإمام أمره وقام بتربيته وتأديبه وتعليمه، فجدَّ السيد أحمد الرفاعي في الدرس والتحصيل للعلوم الشرعية حتى برع في العلوم النقلية والعقلية، وأحرز قصب السبق على أقرانه.

وكان الإمام أحمد الرفاعي يلازم دروس العلم ومجالس العلماء، فقد كان يلازم درس خاله الشيخ أبي بكر سلطان علماء زمانه كما كان يتردد على حلقة خاله الشيخ منصور البطائحي، وتلقى بعض العلوم على الشيخ عبد الملك الحربوني وحفظ عنه كتاب "التنبيه" في الفقه الشافعي للإمام أبي إسحق الشيرازي وقام بشرحه شرحا عظيما، وأمضى أوقاته في تحصيل العلوم الشرعية على أنواعها، وشمَّر للطاعة وجَدَّ في العبادة حتى صار عالما وفقيها شافعيا وعالما ربانيا رجع مشايخه إليه وتأدب مؤدبوه بين يديه.

وكان الشيخ الجليل أبو الفضل علي محدث واسط وشيخها قد أجاز الإمام أحمد الرفاعي وهو في العشرين من عمره إجازة عامة بكل علوم الشريعة والطريقة وأعظم شأنه ولقبه بـ أبي العلمين، أي الظاهر والباطن.

وفي الثامن والعشرين من عمر الإمام أحمد الرفاعي الكبير عهد إليه خاله منصور بمشيخة المشايخ ومشيخة الأروقة المنسوبة إليه وأمره بالإقامة في أم عبيدة برواق جده لأمه الشيخ يحيى النجاري والد الشيخ منصور الذي تولى كفالته العلمية وتعليمه منذ طفولته، وهناك دراسات أكاديمية تؤكد أنه التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه وكانا على اتصال وتنسيق عال.

تصوفه: السيد أحمد الرفاعي كان شافعي المذهب أشعري العقيدة وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق كان فقيهاً محدّثاً مُفسّرا وكان أعلم أهل زمانه , وكان رضي الله عنه يُضرب به المثل في التواضع والانكسار ولين الجانب ورحمة الناس وشفقته عليهم وقد وصفه الإمام الرافعي (محرر المذهب الشافعي) فقال : كان متمكناً في الدين سهلاً على المسلمين صعباً على الضالين هيّناً ليّناً بشّاً ليّن العريكة (أي سلسلاً) , وكان حسن الخلقِ كريم الخُلُق حلو المكالمة لطيف المعاشرة لا يملّه جليسه ولا ينصرف عن مجالسه الا لعبادة, حمولاً للأذى (بعض الناس في عصره كانوا يحسدونه ويكيدون له ومنهم من كان يفتري عليه) , وفيّاً إذا عاهد صبوراً على المكاره متواضعاً

كان السيد الرفاعي لما يقعد مع الناس يقول لهم: أي سادة لست بشيخ عليكم لست مقدّماً على هذا الجمع، كان يذهب إلى المرضى

المصابين بالجذام, يبحث عنهم فيقعد معهم يُطعمهم ويأكل معهم ويتعهدهم بالدواء والطعام ثم يأخذ ثيابهم فيغسلها لهم من قوة يقينه ..
طريقته: تقوم الطريقة الرفاعية على العمل بمقتضى ظاهر الكتاب والسنة، ثم أخذ النفس بالمجاهدة والمكابدة، والإكثار من الذكر، وقراءة الورد، وذلك وفق إرشادات الشيخ وتوجيهاته، مع ضرورة التسليم والانقياد له والانصياع لأوامره. وعلى المريد أن يتمسك بالكتاب والسنة ثم تعاليم الشيخ ويعمل بما قاله من الالتزام بالسنة، وموافقة السلف الصالح على حالهم، ولباس ثوب التعرية من الدنيا والنفس، وتحمل البلاء، ولبس الوقار واجتناب الجفاء. وقد اشتهر عن بعض أتباع الرفاعي حديثا القيام بأفعال عجيبة كاللعب بالثعابين، وركوب الأُسود، والدخول في النيران المشتعلة دون أن تحرقهم أو تؤثر فيهم، وغيرها، فهذه مما لم تكن معروفة عند الشيخ الرفاعي، لكنها استُحدثت بعد وفاته، وإن كان الشيخ قد عُرف بحنانه الشديد على الإنسان والحيوان، وكان أشد ما يكون حدبًا ورعاية للحيوانات الضالة والمريضة.

تعليمه الناس أمور دينهم: دأب الإمام الرفاعي كغيره من العلماء العاملين في تعليم الناس أمور دينهم وجَدَّ في الوعظ والإرشاد وعقد

حلق العلم حتى كان نبراسا يستضيء به الناس فيما ينفعهم، وكان لا يفتر عن تعليم الناس هدي الرسول وأسرار القرآن العظيم.

مؤلفاته وتراثه: للسيد الإمام أحمد الرفاعي مؤلفات كثيرة أكثرها فقد في موقعة التتار، ومما وصل إلينا من كتبه: حالة أهل الحقيقة مع الله، لتحميل الكتاب.

الصراط المستقيم.

كتاب الحكم شرح التنبيه (فقه شافعي).

البرهان المؤيد.

معاني بسم الله الرحمن الرحيم.

تفسير سورة القدر.

البهجة.

النظام الخاص لأهل الاختصاص.

المجالس الأحمدية.

الطريق إلى الله.

التحفة الرفاعية.

كتاب قلادة الجواهر وهو من أشمل وأروع الكتب في ذكر تاريخه ومناقبه وسيرة حياته وأوراده .

أسرار العبادات.

سيرته وأخلاقه: كان الإمام أحمد الرفاعي يأمر في مجلس وعظه بالتزام حدود الشرع، ويحذر الناس من أهل الشطح والغلو ويقول: "هؤلاء قطاع الطريق فاحذروهم" وكان يكره أصحاب القول بالحلول والوحدة المطلقة الذين يقولون إن الله يحل بالعالم ويقول : "هؤلاء قوم أخذتهم البدعة من سروجهم، إياكم ومجالستهم" وكان يأمر باتباع هدى الشريعة والسير على طريقة المصطفى ويقول: "اتبع ولا تبتدع، فإن اتبعت بلغت النجاة وصرت من أهل السلامة، وإن ابتدعت هلكت".

زهده وتواضعه: كان الإمام أحمد الرفاعي الكبير متواضعا في نفسه، خافضا جناحه لإخوانه غير مترفع وغير متكبر عليهم، وروي عنه أنه قال : "سلكت كل الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار، فقيل له : يا سيدي فكيف يكون ؟ قال : تعظم أمر الله، وتشفق على خلق الله، وتقتدي سنة سيدك رسول الله ". وكان الإمام الرفاعي يخدم نفسه، ويخصف نعله، ويجمع الحطب بنفسه ويشده بحبل ويحمله إلى بيوت الأرامل والمساكين وأصحاب الحاجات، ويقضي حاجات المحتاجين، ويقدم للعميان نعالهم، ويقودهم إذا لقي منهم أناسا إلى محل مطلوبهم، وكان يمشي إلى المجذومين والزمنى ويغسل ثيابهم ويحمل لهم الطعام، ويأكل معهم

ويجالسهم ويسألهم الدعاء، وكان يعود المرضى ولو سمع بمريض في قرية ولو على بعد يمضي إليه ويعوده، وكان شفيقا على خلق الله يرأف باليتيم، ويبكي لحال الفقراء ويفرح لفرحهم، وكان يتواضع كل التواضع للفقراء.

وقد قال مشايخ أهل عصره: كل ما حصل للرفاعي من المقامات إنما هو من كثرة شفقته على الخلق وذل نفسه. وكان أحمد الرفاعي يعظّم العلماء والفقهاء ويأمر بتعظيمهم واحترامهم ويقول: هؤلاء أركان الأمة وقادتها.

سخاؤه وزهده وسلامة طويته: كان أحمد الرفاعي متجردا من الدنيا، ولم يدخر أموالها، بل كان لا يجمع بين لبس قميص وقميص لا في صيف ولا في شتاء، مع أن ريع أملاكه كان أكثر من ريع أملاك الأمراء، وكان كل ما يحصل منها ينفقه في سبيل الله على الفقراء والسالكين والواردين إليه، وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمقامات السنية. وكان يقول: طريقي دين بلا بدعة، وعمل بلا كسل، ونية بلا فساد، وصدق بلا كذب، وحال بلا رياء.

تلاميذه والمنتسبون إليه بالطريقة: كثُر تلاميذ الإمام أحمد الرفاعي في حياته وبعد مماته حتى قال ابن المهذب في كتابه "عجائب واسط": بلغ عدد خلفاء السيد أحمد الرفاعي وخلفائهم مائة وثمانين ألفا حال

حياته، ومن عظيم فضل الله على السيد أحمد الرفاعي أنه لم يكن في بلاد المسلمين مدينة أو بليدة أو قطر تخلو زواياه وربوعه من تلامذته ومحبيه العارفين المرضيين. ومن الذين ينتمون إليه:

الشيخ الحافظ عز الدين الفاروقي.

الشيخ أحمد البدوي.

العارف بالله أبو الحسن الشاذلي.

الشيخ السيد عبد الله الحراكي الحسيني ابن عمته.

الشيخ نجم الدين الأصفهاني شيخ الإمام إبراهيم الدسوقي.

الشيخ أحمد علوان المالكي.

الحافظ جلال الدين السيوطي.

الشيخ المقداد بن محمد الرفاعي.

الشيخ عقيل المنبجي.

الشيخ علي الخواص.

العارف بالله السيد أحمد الضرغامي.

قال العلماء عنه: القاضي أبو شجاع الشافعي صاحب المتن المشهور في الفقه الشافعي، فقد ذكر الإمام الرافعي ما نصه: حدثني الشيخ الإمام أبو شجاع الشافعي فيما رواه قائلا: كان السيد أحمد الرفاعي علما شامخا، وجبلا راسخا، وعالما جليلا، محدثا فقيهًا، مفسرًا ذا

روايات عاليات، وإجازات رفيعات، قارئا مجودًا، حافظا مُجيدا، حُجة رحلة، متمكنا في الدين... أعلم أهل عصره بكتاب الله وسنة رسوله، وأعملهم بها، بحرا من بحار الشرع، سيفًا من سيوف الله، وارثا أخلاق جده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

الشيخ المؤرخ ابن الأثير الجزري: وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس، وعنده من التلامذة ما لا يحصى.

المؤرخ الفقيه صلاح الدين الصفدى، حيث قال: الإمام القدوة العابد الزاهد، شيخ العارفين.

الشيخ المحدث عبد السميع الهاشمي الواسطي: كان السيد أحمد آية من آيات الله.

شيخه الشيخ منصور البطائحيّ، حيث قال: وزنته بجميع أصحابي وبي أيضا فرجحنا جميعًا.

المؤرخ ابن خلكان، حيث قال: كان رجلاً صالحًا، فقيها شافعي المذهب.

المؤرخ ابن العماد الحنبلي، حيث قال: الشيخ الزاهد القدوة.

ابن قاضي شهبة، حيث ذكره في طبقات الشافعية وعدّه من فقهائهم.

الإمام تاج الدين السبكي، حيث قال: الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين أهل الكرامات الباهرات.

الشيخ عبد الوهّاب الشعراني، حيث قال: هو الغوث الأكبر والقطب الأشهر أحد أركان الطريق وأئمة العارفين الذين اجتمعت الأمة على إمامتهم واعتقادهم.

وفاته: عندما بلغ الإمام أحمد 66 من عمره مرض بداء البطن (الإسهال الشديد) وبقي مريضاً أكثر من شهر، وكان مع خطورة مرضه يتحمل الآلام الشديدة بدون تأوه أو شكوى، مستمرا وثابتا على تأدية الطاعات والعبادات التي اعتاد عليها بقدر استطاعته إلى أن وافته المنية يوم الخميس 12 جمادى الأولى عام 578 هـ، ودفن في قبّة جدّه لأمّه الشيخ يحيى البخاري في بلدته أم عبيدة، وكان يوماً مهيباً.

13/ أبو الحسن الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي إليه تنتسب الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، وسكن مدينة (شاذلة) التونسية ونسب إليها، وتوفي الشاذلي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب متوجهًا إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة 656هـ.

تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على الإمام عبد السلام بن مشيش، في المغرب، وكان له كل الأثر في حياته العلمية والصوفية. ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك ارتقى منازل عالية كما في الفكر الصوفي ودرس بها على أبو سعيد الباجي ورحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي، وأبو عبد الله محمد وابنته زينب، وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من أقطاب الصوفية في العالم أجمع.

مفتاح طريقته: طريقته مفتاحها الحب في مقابل طريق المجاهدة المعروف قبله، وفى حديث الأعرابى الذي سأل النبى صلى الله عليه وسلم: "متى الساعة؟" فأجابه صلى الله عليه وسلم: "وما أعددت

لها؟" قال:"ما أعددت لها كثير صوم وصلاة غير أني أحب الله ورسوله" قال صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب" .

فالسائر إلى الله إذا أدى الفرائض واجتنب المنهيات وأحب الله ورسوله كان وصوله إلى الله أسرع ممن جاهد نفسه بالمجاهدات والرياضات والعبادات مع افتقاد الحب الذي هو جناح الطيران إلى حضرة الرحمن، وكل منهما المجتهد في العبادات والمحب مع إقامة الفرائض يرجى لهما الوصول، بل إن المحبين مجتهدون في عبادتهم ففى الحديث القدسي : "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه". فالمحب من فرط حبه لله يكثر من النوافل بعد إقامته للفرائض محبة في حبيبه خالصة له لا يدنس عبادته دنس رياء ولا يفسدها عجب، فهو بمحبته غائب عن حظ نفسه في العبادة بل هي خالصة لله رب العالمين.

من أشهر تلاميذ الشيخ الشاذلي: المرسي أبو العباس، وابن عطاء الله. وكان له خبر مع العز بن عبد السلام وصار من مريديه.

اشتهرت للشيخ الشاذلي أحزاب (أوراد) منها حزب البحر: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم، يا الله، يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا عليم، أنت ربي وعلمك حسبي، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم، نسألك العصمة في الحركات والسكنات، والكلمات والإرادات، والخطرات، من الشكوك، والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد ﴿ابْتُلِيَ المؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا=11-وَإِذْ يَقُولُ المنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[الأحزاب 11- 12]فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء، كهيعص كهيعص كهيعص. انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحًا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم يسر لنا أمورنا، مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحبًا في سفرنا وخليفة في أهلنا، واطمس على وجوه أعدائنا، وامسخهم على مكانتهم، فلا يستطيعون المضي ولا المجيء إلينا، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون، ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيًّا ولا يرجعون، ﴿يس =1-وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ =2-إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ =3- عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ =4-تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ =5- لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ =6-لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ =7-إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ =8-وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[يس: 1-9] شاهت الوجوه (ثلاثًا). وعنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلمًا، طس حمعسق مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، حم عدد 7، حُمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حمعسق حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (ثلاثًا). ستر العرش مسبولٌ علينا، وعين الله ناظرة إلينا، بحول الله لا يقدر

علينا (ثلاثًا) والله من ورائهم محيط، بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين (ثلاثًا)، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (ثلاثًا)، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ثلاثًا). بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثًا)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثلاثًا)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نحن في كنف الله، نحن في كنف رسول الله ، نحن في كنف القرآن العظيم، نحن في كنف بسم الله الرحمن الرحيم.

أربعَ ألفُ ألفِ لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ، في قلوبنا حشرت ألف ألف لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ، على أكتافنا نشرت ألف ألف لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ، على رءوسنا نصبت ألف ألف لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ، تحول بيننا وبين ساعة السوء إذا حضرت، ألف ألف لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله دارت بنا سورًا، كما دارت بمدينة الرسول، سبحان من ألجم كل متمرد بقدرته وأحاط علمه بما في بره وبحره، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (ثلاثًا). سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

14/ عبد السلام الأسمر بن سليم الفيتوري الإدريسي الحسني: يعدّ من أهم علماء ودعاة الإسلام في القرن العاشر الهجري، فهو من فقهاء المالكية وعالم في عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أبرز مشائخ التربية والسلوك على منهج أئمة التصوف. وأحد أهم ركائز الحركة العلمية والدعوية في المغرب الإسلامي. تضمّن منهجه الدعوي والإصلاحي الاهتمام بمختلف طبقات المجتمع ولم ينحصر في الطبقة المتعلمة، الأمر الذي جعله قائداً روحياً وبمثابة حجر زاوية لرسوخ الإسلام في المغرب الإسلامي، وبعد مضي خمسة قرون على وفاته فإن أثره لا يزال واضحاً ومؤثراً على الصعيدين العلمي والاجتماعي.

نسبه: يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الإسلام محمد. وفيما يلي نسبه كاملاً:

«عبد السلام الأسمر بن سليم بن محمد بن سالم بن حميد بن عمران المعروف بالخليفة بن محيا بن سليمان –دفين مقبرة سيدى الشعاب بطرابلس ليبيا– بن سالم بن خليفة بن عمران بن أحمد بن خليفة –الملقب بفيتور– بن عبد العزيز بن عبد الله –وهو المعروف بنبيل ولد بفاس ودفن بمكة المكرمة– بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد

العزيز بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الإسلام محمد بن عبد الله»

أمه السيدة سليمة ابنة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الواحد الدرعي، وهو إدريسي حسني من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش»

وسُمي الشيخ عبد السلام "بالأسمر" لأنّه كان يحيّ الليالي سمراً في طاعة الله.

مولده ونشأته: ولد عام 880 هـ الموافق ل (1475م تقريباً) بمدينة زليتن (غرب ليبيا) وتوفي ودفن بها عام 981هـ الموافق ل (1573 م تقريباً) وأوصى أن الذي يغسله ويصلي عليه هو الشيخ سالم بن طاهر الشهير بابن نفيسة الأنصاري وهو من أهل القرن العاشر الهجري وممن عاصر الشيخ الأسمر دفين زليتن 999هـ. توفي والد الشيخ الأسمر وعمره لم يتجاوز العامين بشهرين، فقامت بتربيته والدته حتى توفيت، بعد ذلك أشرف على تربيته عمّه الشيخ أحمد بن محمد الفيتوري ويصف المؤرخون الشيخ أحمد بأن له باب في الفهم والحفظ وإتقان العربية وغيرها من العلوم، وكان ماهراً في الشعر[7].. فالأسمر تربّى في أحضان أسرة لها ميراث علمي عريق، ونسبه رفيع من الجهتين، جهة

الأب والأم وهذه الأمور ساهمت في توجيهه إلى ميدان العلم الشرعي والعمل الدعوي.

أدخله عمّه الشيخ أحمد بن محمد الفيتوري في الكتّاب ليتعلّم القرآن حتى أصبح من الماهرين الحافظين في مدة قليلة.. وفي بواكير صباه حمله عمّه إلى الشيخ عبد الواحد الدكالي الذي يعتبر أهم أساتذته، كما أنّه أخذ العلم عن العديد من علماء المالكية ومشائخ التربية والسلوك.

عاصر الشيخ أحمد زروق الفقيه المالكي المعروف وصاحب الفكر الصوفي الصحيح وكانت تجمعه به علاقة مودة كبيرة، فقد كان الشيخ زروق دائماً ما يزور عم الأسمر الشيخ أحمد الفيتوري ، وأثناء هذه الزيارات لفت انتباهه شدة نبوغ الأسمر ونجابته ،وقد ذكر ذلك العلاّمة شمس الدين اللقاني بقوله: «كنت إذا توجهت مع شيخي سيدي أحمد زروق لزيارة الفواتير، ولقيه سيدي عبد السلام، وهو صغير يقول: سيكون لهذا الولد شأن عظيم بطرابلس إلى أن يفوق أهل عصره».

ظل الأسمر يتلقى مختلف العلوم الإسلامية عن شيخه عبد الواحد الدكالي مدة سبع سنوات ،وبعد هذه الفترة فاجأ الشيخ الدكالي تلميذه قائلاً : ((يا عبد السلام اذهب لينتفع بك الناس الشيخ ما

يخدم شيخاً))..ولم يكتف بإجازة شيخه الدكالي له ،وواصل رحلته في طلب العلم والمعرفة وبلغ جملة من أخذ عنهم ثمانين شيخا[9] ،من أبرزهم :

الشيخ عبد الله العبادي.

الشيخ محمد عبد الرحمن الحطاب (الكبير).

الشيخ علي العوسجي.

الشيخ عبد النبي بن عبد المولى.

منهجه في التعليم: اتبع عبد السلام الأسمر في تعليمه لتلاميذه منهجاً دقيقاً يوضح مدى تفانيه في آدائه لرسالة الدعوة ،حيث قسّم الدروس في مختلف العلوم على النحو التالي:

المحاضرة الأولى: في علوم التوحيد من الضحى إلى صلاة الظهر.

المحاضرة الثانية: في علوم الفقه من بعد صلاة الظهر إلى العصر ،تنقسم هذه المحاضرة إلى جزئين، الجزء الأول يخصص لدراسة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ،والجزء الثاني لتدريس مختصر خليل، ومختصر خليل هو من أهم كتب المالكية ومن أشهر من شرحه الإمام الحطاب تلميذ عبد السلام الأسمر.

المحاضـرة الثالثـة: في علـوم التربيـة والسـلوك ،وتبتـدئ مـن بعـد صـلاة العصر إلى المغرب، يتناول خلالها كتاب الحكم العطائية لإبن عطاء الله الإسكندري.

المحاضرة الرابعة: في علوم النحو، والمعقول، وتبتدئ بعد صلاة المغرب إلى وسط وقت العشاء، تنقسم هذه المحاضرة إلى جزئين، الجزء الأول يخصص لدراسة النحو، والجزء الثاني لدراسة المعقول.

كما اهتم الأسمر بطبقات المجتمع الغير متعلمة[2] بأن وجّه لهم دروس الوعظ والإرشاد التي يبسّط لهم فيها قواعد الشريعة والسلوك، وتنبيههم إلى القضايا التي تتعلق بحياتهم الخاصة وعموم حال الأمة، كما أنه كان يشجعهم على العبادات كصلاة الجماعة وكثرة ذكر الله ،كما استخدم وسـائل دعويـة أخـرى كبـدائل عـن اللهـو المحرم ومـن هـذه الوسـائل الدعويـة الـتي كـان لهـا دور مـؤ ثـر في تشـجيع الشـباب علـى التـدين، إقامته لحلقـات الـذكر والإنشـاد الإسـلامي، وقـد نجحـت جهـود الأسمر مـع مختلـف شـرائح المجتمـع في تكـوين قاعـدة أسسـت لمراكـز إسـلامية أفـادت العـالم الإسـلامي وحافظـت علـى موروثـه الـديني ولعـل استمرار العملية التعليمية في زاويته التي أسسـها قبـل 500 عـام إلى يومنـا هـذا خير دليل على ذلك .

تلاميذه: تتلمذ على الشيخ الأسمر خلائق كثيرة كوّنوا نواةً حقيقة لنهضة علمية حافظت على العلوم الإسلامية إلى عصرنا هذا وأسهمت في غرس القيم الإسلامية في المجتمعات المحلية لشمال أفريقيا خاصةً في ليبيا وتونس ، و فيما يلي عرض لأبرز تلاميذه:

سالم السنهوري : شيخ المالكية في عصره.

الحطّاب (الصغير): صاحب أحد أشهر الشروحات على (مختصر خليل) الذي يعدّ من أهم كتب المالكية.

علي بن مصطفى الزرلي: أحد كبار علماء طرابلس الغرب.

ابرهيم أبو حميرة(من أحفاد الحسن بن على بن أبي طالب من نسل الرسول الاكرم): ولي صالح من أولاياء الصالحين تعلم على يد الولى عبد السلام الأسمر ولد وتوفيا في الزاوية الغربية.

مكانته وأثره في العالم الإسلامي: أسس مركزاً إسلامياً (يتضمن مسجداً ومدرسةً لتعليم القرآن ومختلف العلوم الإسلامية ومرافق للعمل الدعوي والاجتماعي) قبل أكثر من 500 عام في مدينة زليتن بغرب ليبيا سنة 912 هـ 1491 م – تقريبا – يُدرَّس فيه القرآن الكريم والفقه المالكي والعقيدة والسلوك والتربية وغيرها من العلوم. ومن الجدير بالذكر أن تلاوة القرآن لم تنقطع في زاوية الأسمر منذ أكثر من 500 سنة أي منذ تأسيسها ولا تزال كذلك.

يعتبر العديد من المؤرخين والمهتمين بالتصوف أن عبد السلام الأسمر عَلَم صوفي قلّ نظيره في الجد والسعي إلى السلوك الرباني على منهج السلف الصالح متّبعاً وصاياهم وحثّهم على اتّباع التصوف الحقيقي. ويرون أن عبد السلام الأسمر مجدد للطريقة العروسية الشاذلية، فهو قد نظّر للتصوف واعتنى به وأبرز حقيقة كون التصوف هو عين التوحيد، ويروي المؤرخون أن الأسمر عانى في حياته كثيراً حتى استطاع أن يسير بركب الدعوة إلى بر النجاة وجاهد جهاداً كبيراً ضد الظلم والجهل والتخلف.

وصل علمه وطريقته في الدعوة إلى أنحاء نتفرقة من العالم، وتأثر بفكره الكثيرون من أندونيسا إلى تركيا وسوريا وصولا إلى مصر وتونس وغرب أفريقيا خاصة تمبكتو بمالي وكانو بنيجيريا وإلى المغرب الأقصى. وله مخطوطات في مختلف الجامعات العالمية وكبرى المكتبات ومن بينها مكتبة الكونغرس بواشنطن.

يرى أغلب علماء وفقهاء ليبيا أنّ الفضل الأكبر في تكوين قاعدة علمية وتربوية واجتماعية في ليبيا، يرجع إلى عبد السلام الأسمر، فالزاوية التي أسسها تعدّ أكبر المراكز الإسلامية في ليبيا بكل جدارة حيث أن أغلب علماء ليبيا تخرجوا فيها .

وفق العديد من المصادر فإن عبد السلام الأسمر سلك سلوكًا راقيًا في الدعوة، عماده المحبة والصبر، وظهر ذلك في قصائده الكثيرة، كما في رسائله وكتاباته إلى المسلمين من تلاميذ ومريدين وإخوان من مختلف البلدان.

ومدار طريقته هو السعي إلى الإخلاص في الأقوال والأعمال والأحوال، والتواضع لجميع الخلق وذكر الله في كل فعل من الأفعال، من أكل وشرب ونوم ولباسن وجميع ما ورد في السنة المحمدية بخصوص ذلك.

يُعدّ الشيخ عبد السلام الأسمر أشهر أولياء القطر الليبي قاطبة. فهو أكثر الشخصيات الإسلامية شعبيةً في ليبيا ولهذا لقّبه البعض ب(وليّ الشعب). وعندما يقال (سيدي عبد السلام) بدون زيادة تعريف فالمقصود هنا هو الشيخ عبد السلام الأسمر، ولفظ (سيدي) يطلق في بعض مناطق غرب ليبيا على الأب وفي شرق ليبيا على العم، وقد جرت عادة أهل بلاد المغرب الإسلامي على إطلاق لفظ (سيدي) على العلماء والصالحين خاصةً إذا كانوا ينتسبون إلى آل البيت، احتراماً وتقديراً ومودةً لهؤلاء العلماء والصالحين، وتعبيراً عن روح الأبوّة تجاههم، تطبيقاً لتعاليم الإسلام بتوقير العلماء والصالحين وإظهار المودة لآل البيت النبوي.

الأسمر والشعر: كان الشيخ أحمد الفيتوري ،عم الشيخ عبد السلام ومربيه، يقرض الشعر وله في ذلك الخبرة والدراية حتى أنه كان يشبّه بكعب بن زهير وحسّان بن ثابت وهذا الأمر كان له دور كبير في جعل علاقة الأسمر بالشعر وثيقة، فتعدّدت مقطوعاته الشعرية ومنظوماته التعليمية والصوفية ، وقد أحصى البعض قصائده بما يقارب من أربعة آلاف قصيدة.

وللشيخ الأسمر مقطعات كثيرة بالعاميّة، الأمر الذي جعل الكثيرين نساءً ورجالاً يحفظون كلامه ويرددونه. ومن أشهرها يا فارس بغداد ويا قمرة الليل ويرددها المنشدون إلى اليوم.

مؤلفاته: كان الشيخ الأسمر غزير التأليف إلا أن أكثر مؤلفاته انتهت إلى الضياع حينما انتهبت زاويته في فتنة مقتل ابنه عمران سنة 995 هجري. وفيما يلي عرض لبعض مؤلفاته التي لم تتعرض للضياع بعد تلك القتنة : (رسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها).

(الوصية الكبرى).

(الوصية الوسطى).

(الوصية الصغرى).

(الأنوار السنية).

(سفينة البحور).

(العظمة في التحدث بالنعمة).

(التحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية).

(نصائح التقريب في حق الفقراء والنقيب).

مجموعة(الأحزاب والأوراد والوظائف).

رسائله وكتاباته إلى إخوانه وتلامذته ومريديه.

أقواله: (لا تعتزوا بالدنيا فإنها خائنة غدارة لاتزيد المعتز بها إلا ذلا وقلاً).

(زاحموا الجمال الجرب المطلية بالقطران ولا تزاحموا النسوة في الطريق).

(من علامة سعادة الفقير تيسير الطاعة عليه وموافقته للسنة في أفعاله وأقواله ومحبته لأهل الصلاح).

زاوية عبد السلام الأسمر: تعدّ زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر من أهم وأكبر مراكز تحفيظ القرآن الكريم في ليبيا، وتوجد حالياً بجوار زاوية الأسمر الجامعة الإسلامية الليبية التي سميّت بالجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية في محاولة لمواصلة مسيرة الشيخ عبد السلام الأسمر.

تدمير الزاوية عام 995 هـ: في عام 995 هـ ظهر رجل اسمه يحي بن يحي السويدي وادّعى النبوة بحسب الكاتب أسامة علي بن هامل، والذي نقل عنه أنه كان يوقع الأذى بكل القرى والأرياف في طرابلس في ليبيا، فاعترضت زاوية عبد السلام الأسمر حينها على يحي

السويدي واستنكرت أفعاله وادعائه للنبوة، فقام بمهاجمة مدينة زليتن فدمر زاوية عبد السلام الأسمر، ونهب مكتبتها الضخمة التي حوت وقتها نحو 500 مجلد نادر وقتل 20 من الأشراف منهم عمران ابن عبد السلام الأسمر شيخ زاوية عبد السلام الأسمر وقتها، مما نتج عنه رحيل معظم طلابها وعلمائها.[18] بينما يرى باحثون آخرون أمثال محمد الطوير بأن يحي كان ثائراً على حكم الأتراك آنذاك، وكان سبب حرقه للزاوية على إثر خلاف بينه وبين عمران.

الواقع الحالي لزاوية الأسمر: كما أن الأسمر عانى كثيراً في حياته في سبيل الدعوة والإصلاح، فإنّ زاويته في مدينة زليتن تعاني في هذا العصر من مضايقة الذين تصفهم بعض المصادر بالمتشددين المتأثرين بالفكر الإقصائي، الذين يروّجون لفكرة مقاطعة المركز الإسلامي الذي أسّسه الشيخ الاسمر لأنّه ليس متوافقاً مع آراء جماعتهم المسماة بالسلفية، خاصةً وأن هناك علماء من أهل السنة والجماعة على المنهج الذي يسير عليه عبد السلام الأسمر يعتبرون أن هناك من جماعة السلفيين من يحمل أفكارًا متطرفة، وأن هناك منهم من يحرّم الصلاة بالمسجد الذي بناه الأسمر بحجة أن ضريحه ملاصق له، وذلك رغم صدور فتاوى من علماء ليبيا وعلماء الأزهر كما أن دار الإفتاء المصرية تقول بجواز الصلاة بالمسجد الذي به ضريح، وأنه لا وجود

لظاهرة "الشرك" في أمة النبي محمد بعكس ما يدّعي السلفيون الذين يعتبرون أنفسهم "محاربين للشرك"، وتبقى محاولات هؤلاء السلفيين لمواجهة مسجد الشيخ عبد السلام في ظل الصراع الذي بدأه الوهّابيون قبل 200 عام في شبه الجزيرة العربية حيث تصدى لهم العديد من علماء السنّة خاصةً في الأزهر وجامع الزيتونة والقرويين فقالوا بخطأ توجهات هؤلاء الذين يدّعون اتباع منهج "السلف الصالح"وهم ليسوا كذلك بحسب علماء من مصر وتونس والمغرب والشام، وترى ذات المصادر أنه ورغم التحديات الكثيرة فإن مركز زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر يراها الكثيرون في ليبيا وخارجها بقعة مشعة بالعلم وتزكية النفس على كل ليبيا ومناطق واسعة من العالم، رغم ما يعتبرونه سلبية عند بعض المسؤولين، وغياب الحس الدعوي عند أغلبهم وعدم تصديهم للأفكار المتطرفة، وعدم بذلهم الجهود في التوعية وإبراز الدليل لكل حائر أو مخطئ، وترك غلاة السلفيين دون محاسبة على محاولات اعتدائهم على المسجد الذي أسسه الأسمر وعدم اعترافهم بحرية الآخرين في اتباع منهج عبد السلام الأسمر الذي تصفه مصادر عدة بأنه منهج سنيّ بامتياز. وأن تصرفات فيها غلو تصدر من بعض المنتسبين للتصوف وتخالف منهج الشيخ عبد السلام

الأسمر الذي تعده الكثير من المصادر منهجًا صوفياً معتدلاً على منهج السلف الصالح .

تدمير الزاوية عام 2012م: في يوم الخميس 23أغسطس 2012م قام مجموعة من السلفية الوهابية بهدم وتفجير ضريح ومسجد الشيخ عبد السلام الأسمر، وزاويته، وحرق آلاف الكتب التاريخية في مكتبته، مستخدمين القنابل والجرافات، باعتبارها "مزارات وثنية" بحسب وصف السلفية. وقد أدانتها دار الإفتاء الليبية بشدة.كما حذر عمر مولود عبد الحميد الأمين العام لرابطة علماء ليبيا التي تضم ما يقارب 400 عالم دين من تداعيات تلك الأعمال على الوضع الأمني بليبيا، مشيرًا إلى أنها "جريمة قانونية وشرعية".كما استنكرت دار الإفتاء المصرية بشدة هذا الفعل ووصفت فاعليه "بخوارج العصر وكلاب النار"، ووصفت تلك الممارسات بأنها ممارسات "إجرامية جاهلية لا يرضى عنها الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحد من العالمين".

دراسات وكتب حول عبد السلام الأسمر: اهتم عدد من الباحثين والمختصين بالبحث حول شخصية الأسمر ودوره التعليمي والتربوي والاجتماعي، ويعد من أكثر الدراسات وضوحًا وإيجازًا، كتاب "عبد السلام الأسمر. آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية" للدكتور

محمد محمد عزالدين الغرياني الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية، كما تناولت هذا الأمر عدة رسائل علمية، منها رسالة دكتوراة قدمت في سبعينيات القرن الماضي بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، ورسالة دكتوراة في تسعينيات القرن الماضي أعدها في المغرب الدكتور الليبي مصطفى رابعة، وفيما يلي عرض لمؤلفات تناولت عبد السلام الأسمر:

روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار/ الشيخ كريم الدين البرموني.

النور النائر/ الشيخ سالم السنهوري.

مواهب الرحيم/ الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف الشريف. التونسي.

فتح العليم/ الشيخ عبد السلام العالم التاجوري.

حوادث العصر/ الشيخ محمد بن نصر.

فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر/ أبوعلي الطيب بن طاهر الشيخ المصراتي/ منشورات دار الكشاف 1389هـ.

رسالة في تاريخ الشيخ الأسمر/ الشيخ سالم بن حمودة.

على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري/ محمد بن إسحاق المليجي الإسكندري/مطبوع بمصر، توزيع مكتبة النجاح بطرابلس.

النفحات الشاذلية والأسرار الأسمرية/ أحمد حامد عبد الكريم، (شيخ الطريقة العروسية بسوهاج بمصر).

النفحات الفيتورية / الشريف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الشريف (شيخ الطريقة العروسية بسوهاج بمصر).

أعلام ليبيا/ الشيخ الطاهر الزاوي (مفتي ليبيا).

عبد السلام الأسمر آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية / الشيخ الدكتور محمد محمد عز الدين الغرياني.

رسائل الأسمر إلى مريديه/ الشيخ الدكتور مصطفى رابعة.

القطب الأنور عبد السلام الأسمر/ الشيخ الأستاذ أحمد القطعاني.

فتح العليم عن مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم/ الشيخ مفتاح فرج محمد الفيتوري.

الفهرس

العنوان...الصفحة

مقدّمة...3

مدخل...17

تعريف التصوف وقيمته...............................22

لمحة تاريخية عن التصوف بتونس............................41

أهم الطرق الصوفية بتونس.............................48

التصوف قبل الثورة.................................54

التصوف بعد الثورة وانتشار الفكر الوهّابي.................65

الآفاق المستقبلية.................................77

توصيات عامة واستراتيجيات ضرورية.......................88

خلاصة...95

ملحق...101

بين السلفية والتصوف: مناقشة مختزلة للمنهج...............102

Why Sufism is the antidote to extremism.......109

التطرف:الخطر الداهم على الإنسانية.......................117

ميثاق علماء تونس.................................126

ملحق الأعلام.....................................155